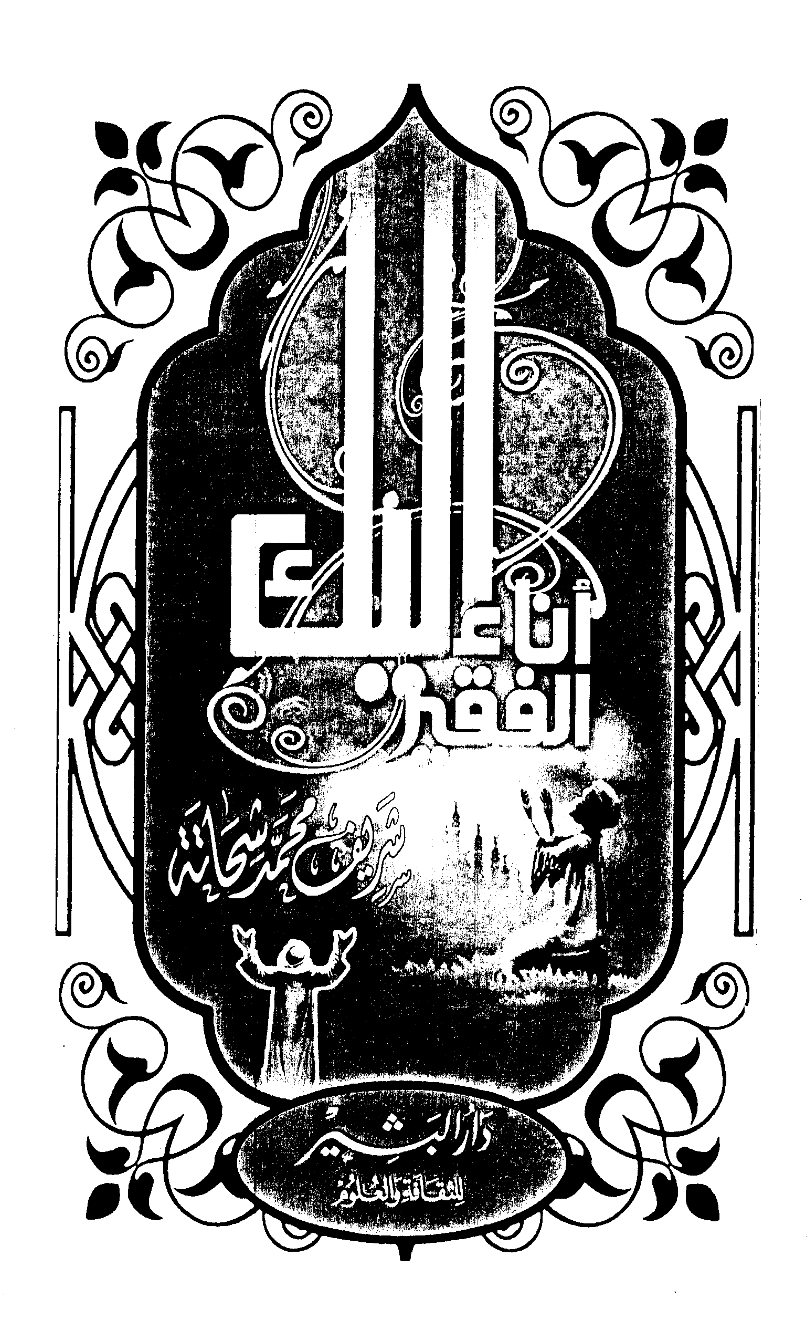
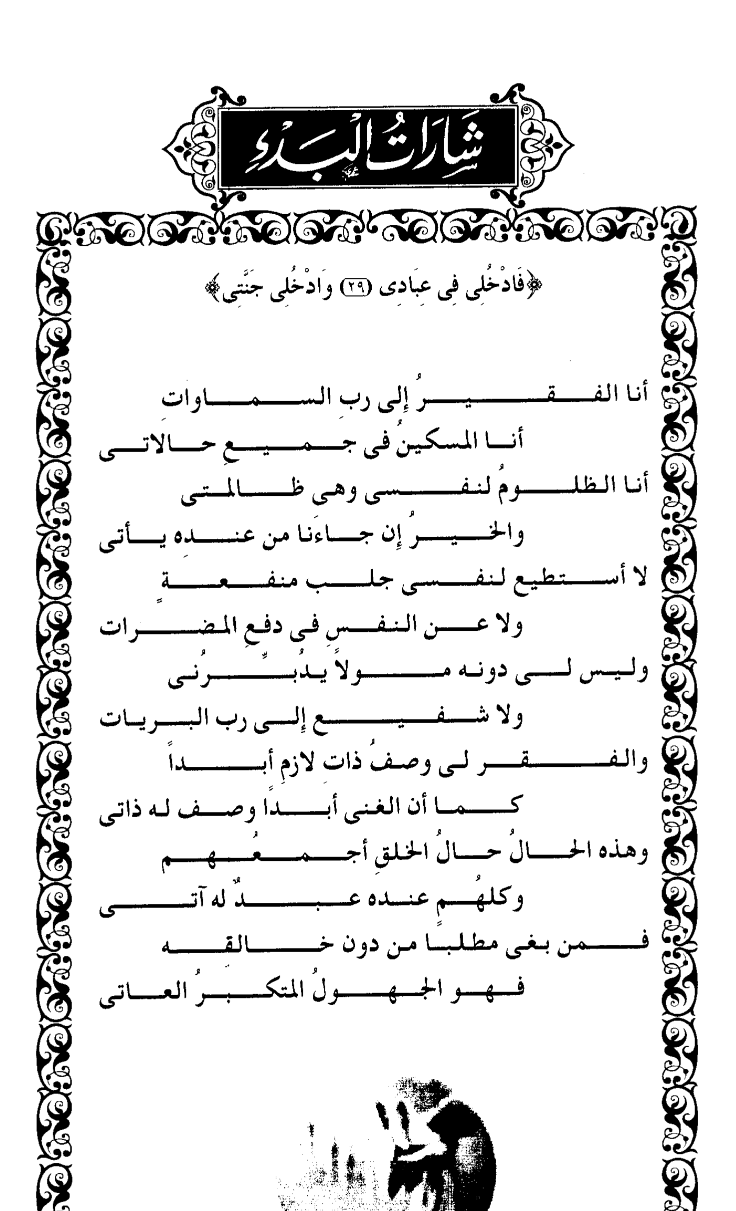

أنا عبد الله الفقير
شريف محمد شحاتة
دار البشير
للثقافة والعلوم

للثقافة والعلوم

إسم الكتـــاب : أنا الفقير إليك
التــــأليف : شريف محمد شحاته
الصف التصويرى : الندى للتجهيزات الفنية .
عدد الصفحات : 200 صفحة .
قياس الصفحة : 17 × 24
عدد الطبعات : الطبعة الأولى .
التوزيع والنشر : دار البشير للثقافة والعلوم .
طنطا ـ 23 ش الجيش عمارة الشرق للتأمين
تليفاكس3305538/ تليفون 040/3316316
Dar elbasheer@hotmail.com

الإيداع القانونى : 2005/22439
الترقيم الدولى : I. S. B. N . 977 - 278 - 296-0

1427 هـ
2006 م



شَارَاتُ البدء

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾

أنا الفقيرُ إلى رب السماوات
أنا المسكينُ في جميعِ حالاتي
أنا الظلومُ لنفسي وهي ظالمتي
والخيرُ إن جاءَنا من عندِه يأتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعةٍ
ولا عن النفسِ في دفعِ المضرات
وليس لي دونه مولاً يدبِّرُني
ولا شفيع إلى رب البريات
والفقر لي وصفُ ذات لازم أبداً
كما أن الغنى أبداً وصف له ذاتي
وهذه الحالُ حالُ الخلقِ أجمعُهم
وكلهُم عنده عبدٌ له آتي
فمن بغى مطلباً من دون خالقه
فهو الجهولُ المتكبرُ العاتي



الإهداء

إلى من.. سلك كل الطرق فرآها قد سدت .. وطرق الأبواب فوجدها قد غُلِقَت ..

إلى من.. تلمس جوانب نفسه وخبايا سريرته.. فضاقت عليه الأرض بما رحبت..

إلى من.. أحس بمرارة الذل وقيود العجز .تطأه وتحطم كيانه ..

إلى من.. جفا حوله الإخوان وأعرض عنه القريب.. فشمت العدو وضعفت الثقة..

إلى من.. داهمته المصائب ونازلته الخطوب.. وحفت به المكارة وأبطأ نحوه الفرج..

إلى من.. ألم به مرض..أو أرهقه دين.. أو حل به فقر .. أو تعثرت به الحاجة ..

إلى من.. قسا قلبه ... ويئست روحه .. ومل من الحياة ..

إلى من.. اشتد عليه الكرب وثقل فوقه الحمل .وتأخر المدد ..

أقول له :

لا تحزن إن الله معك

يكفيك من كل ما أهمك .. يحفظك فى الأزمات .. يرعاك فى الملمات

يحميك فى المدلهمات .. يُعطيك إذا سألت .. يغفر لك إذا استغفرت

يزيدك إذا شكرت .. يذكرك إذا ذكرت ..

يمنحك العز بلا عشيرة .. والغنى بلا مال ..

أخى .. أختاه .. أحباب رسول الله (ﷺ)

كل دموع الناس لا تبل ظمأ القلب القاسى ولو انحدرت كالسيل

عجباً لمن هو حاضر الذهن فى الدنيا فإذا جاء الدين تعكر ..

هيا : افتح قلبك وعقلك لحظات وتفكر ..

.. هيا بنا إذاً !!..

شريف ..



على عتبة الباب

الحمد لله الذى عز جلاله فلا تدركه الأفهام، وسما كماله فلا يحيط به الأوهام . . لا يحيط به فكر ،ولا يحده حصر، ولا يحويه نظر . . سبحانه شرح صدورنا لعبوديته ومن أبى جرت الأقلام بشقاوته . . فسبحان من منح ومنع، ووصل وقطع، وفَرَّق وجمع . . وأصلى على الحبيب ﷺ عدد قطرات الأمطار، وعدد أوراق الأشجار ،وعدد ما تعاقب عليه الليل وأشرق عليه النهار . . وعلى آله وصحبه الكرام وسلم تسليمًا كثيرًا . . صلوا عليه وسلموا تسليمًا . .

أما قبل

فيا أحباب رسول الله :

صَرَّفت وجه الحديث فى موضوع أسميته « **أنا الفقـــير إليك** » . . لأنك حينُ تطل برأسك إطلاله واعية ترى العبادات صارت روتينيات وانقلبت إلى عادات، فغفل الكثيرون عن فهمها وتاهوا عن حقيقتها . . وكثرت نزاعات النفس ومنادات الشيطان وهواتف المادية الطاغية ، فيحتار العقل ويختل الفكر ويُشَوش جهاز استقباله . .

فيهز أرجائه صوت الحق :

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: 60-61]

وهذا ما دعا **أبو على الدقاق** ليصرح " أنت عبد من أنت فى رقه وأسره، فإن كنت فى أسر نفسك فأنت عبد نفسك ؛ وإن كنت فى أسر دنياك فأنت عبد دنياك " . .

فأى العباد أنت ؟!

وهنا تتبدى حقيقة كالشمس ساطعة فى بؤرة السماء . . أنت . . **نعم أنت** . . سلها عبد لمن ؟ عبد لشهوتى ؟ . . عبد لمنصبى؟ . . عبد لأموالى؟ . . عبد لزوجتى؟ . . عبد لمتلكاتى . . عبد لفتاه أحبها ؟ . . عبد لمعصية عشقتها؟ . . فيتوه القلب عن الدرب ويفقد حاسة إبصاره، وحين يسأل إلى متى هذا العمى ؟ فيكون الجواب :

" إلى أن تقع بالطبيب وتتوسد بعتبته، وتحُسن ظنك فيه، وتزيل من قلبك التهمه له، وتـأخـذ نفسـك وتقعـد على بابه، وتصبـر على مـرارة دوائه، فحينئذ يزول العـمى من عينيك . . ذل لله عز وجل، وأنزل حوائجك به، ولا تعد لنفسك عـملاً وألقه على قدم الإفلاس . . أغلق أبواب الخلق وافتح الباب بينك وبينه، واعترف بذنوبك واعتذر إليه من تقصيرك، وتيقن أنه لا ضار ولا نافع ولا معطى ولا مانع إلا هو . . فحينئذ يزول عمى عين قلبك ويحرك البصر والبصيرة "[1] . .

فشتان شتان بين حياة وحياة واهتمام واهتمام !! مع اتحاد النتيجة بالقياس إلى العمر والأجل . . " والذى يعيش يريد ثواب الدنيا وحدها . . إنما يحيا حياة الديدان والدواب والأنعام !! ثم يموت فى موعده المضروب بأجله المكتوب . . والذى يتطلع إلى الأفق الآخر إنما يحيا حياة الإنسان الذى كرمه الله واستخلفه وأفرده بهذا المكان ثم يموت فى موعده المضروب بأجله المكتوب ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّه كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾ [آل عمران: 145] [2] .

يا **سادة** . . لقد غلب على القلوب الهوى فتملكها . . واستحوذ على النفوس الكبر والإعجاب فأهلكها . . فلا الواعظ يشفى عليلاً ولا الإنذار يجد إلى القلوب سبيلاً . . وقد علمتم أن وراءكم يومًا ثقيلاً . .

فيا عجبًا من غفلة مطلوب لابد من إدراكه .. وتمادى مغتر لا ريب فى هلاكه ..

ألا أذن تسمع ؟

ألا عين تدمع ؟

ألا نفس تفزع ؟

وليست عبادة الذل والانكسار عبادة للإشهار أو للإشارة بالبنان، فتتوهم نفسك فى انكسار رقبتك، أو انحناء ظهرك أو تجر أذيال المسكنة خلفك، أو تأط عند الكلام رأسك، أو أن تغمض عينك . . لا والذى نفسك بيده إنها :

انكسار القلب لا انكسار البدن ..

سجود القلب لا سجود الرقبة ..

وتواضعاً مع العباد ابتغاءاً للثواب ..

---

(1) الفتح الربانى / 15 .

(2) فى ظلال القرآن .

فهذا العبد سعيد بربه . . ترنو إليه بصيرته . . وتتحدد عنده وجهته . . فمهما لطمته الحياة الضالة أو اعترضه العوج الشائع . . فهو فى بيئة صالحة انهزم فيها جند الشيطان واستقر فى جنباتها عسكر الحق أوتجاوبت فى أصدائها الذلة والتسبيح . . الشكر والحمد . . السجود والخضوع . . البكاء والخشوع . . فينبلج قلبه سراجاً منيراً يرمى بأشعته فى كل أفق، ويجمع نفسه على المشاعر الربانية الجياشة . . فيبقى مراح الأعصاب . . لطيف الأنفاس . .

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: 4]

أمـــا بعـــد :





أقدم لك هذا الكتاب

وهو يقول لك :

أجلس قلبك على كرسيه وشد رحاله إلى العبودية . . واحصد سنابل المعية " **أنا عند المنكسرة قلوبهم** " فجد فى السير ، وألح فى الطلب ، حتى يرضى الرب ، ويشفع الحبيب ، وننل القبول . .

هذا الكتاب ينادى :

كل من كدحه فى طلب العيش منقطع النظير ، وجهاده للحصول على اللقمة والمال يضرب به الأمثال . .

كل من سعيه حثيثًا فى إحراز الشهوات ، ومصاحبة الغافلين الأموات . .

كل من أطغاه كبره ، وأخذه عجبه عن تحقيق مسكنته وذله . .

كل من ضلت طريق الهداية ، وسلكت طريق الغواية ، وكان الشيطان لها صاحبًا ، واتباع التقليد لها مؤنسًا .

كل أب تهدمت أخلاق بيته . . و**كل** أم تنحت عن واجبها . . و**كل** شاب لم يدرك ما خلق له . .

أفيقوا .. أفيقوا .. أفيقوا ..

إن أرواحنا جائعة لزادها .. وقلوبنا مشتاقة لانكسارها على عتبة ربها..

يا أختنا .. يا أخانا :

لا تكن الأعذار حاضرة والحجج مستوطنه ، للدفاع عن نفسك إذا لامك أحد على خمودك وتأخرك . . أو عاتبك على عُجبك وتكبرك . .

وتنصب اللافتة ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ [الفتح: 11] . .

تلك هى الأعذار الواهية . . والحجة الداحضة . . والقلوب الميتة . . والعزائم الخاوية . .

فماذا يُقال لمن هذا فعله ؟ وبماذا يُفَسَّر من هذا وصفه ؟

هذا الكتاب

يناشد الجميع . . لو حملت همة عالية لارتحلت بك قبل الفجر . . ، وهبطت بوادى الفلاح . . وكُتب لك النجاح . . وتزينت حياتك بالصلاح . . فانكسر لمولاك ، واهجر دنياك ، وعلق الشعار الثمين « **أنا الفقير إليك** » . .

هذا الكتاب

ينادى : أيها الفقير لازم باب مولاك الكريم . . وتعزز بالمولى العزيز العليم . . توسل إليه بطاعته يتفضل عليك بنعمته . . إن أطعته أكرمك وفضلك . . وإن ضيعت ما مضى فسيرحمك ويمهلك . . وإن تبت وأنبت شكر . . وإن عصيت وأسأت ستر .

فكيف يصبر عن قُربه من وجد طعم عبوديته وحبه ؟

أم كيف لا ينقطع إليه .. من وجد التذلل بين يديه ؟

هذا الكتاب

يُلقى على قلبك قميص **يوسف** عساه يرتد بصيراً ، فيحقق فيك كلمة **عبد** حتى تصل إلى ما وصفه **الإمام الغزالى** " صار لسيده ومولاه إن حركه تحرك ، وإن سكنَّه سكن ، وإن ابتلاه رضى . . لم يبق فيه متسع لطلب أو التماس أو اعتراض ، بل هو بين يدى الله كالميت بين يدى المغسل ، وهذا مُنتهى الصدق فى العبودية "[1] .

وهذا هدفنا ..

أحباب رسول الله ..

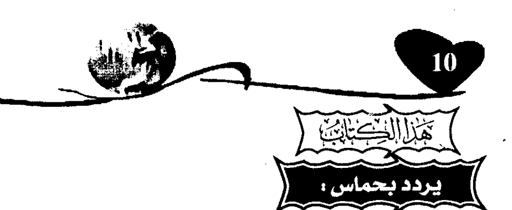
إنه الله العزيز . . لم تحيا القلوب إلا بنسيم إقباله . . ولم تنفطر الدموع إلا من خوف هجره أو طمع فى وصاله . . هدى قلوب الغافلين إلى الدنيا فعمروها ، وهدى قلوب العابدين إلى طلب العقبى فكابدوها . . ، وهدى قلوب الزاهدين إلى فناء الدنيا فرفضوها . .

وصدق أبو بكر حين أعلنها « **والله ما أوحش الطريق لمن لم يكن الله مؤنسه .. وما أضل الطريق لمن لم يكن الله دليله** » .

هذا الكتاب **يشدو :**

أشهروا إفلاسكم . . تذللوا لخالقكم . . اشكروا رازقكم . . احمَدوا واهبكم . . اسجدوا لربكم . . اخضعوا لعظيمكم . .

(1) الإحياء (5 / 388) .



هذا الكتاب

يردد بحماس :

ما هتف به محمد بن الحنفية " **إن أبدانكم ليس لها أثمان إلا الجنة ؛ فلا تبيعوها إلا بها** "

واقـرع لأبـواب السمـــاء

" اللهم اجعل فى قلوبنا نوراً نهتدى به إليك ، . . وتولنا بحسن رعايتك حتى نتوكل عليك . . وارزقنا حلاوة التذلل بين يديك . .

ربى : العزيز من لاذ بعزك والسعيد من التجأ إلى حماك وجودك . . والذليل من لم تؤيده عنايتك . . ، والشقى من رضى بالإعراض عن طاعتك . .

والحكم حكمك فما تغنى الحيل ..

اللهم ... اشف بكلماتى القلوب القاسية ، واستجمع بحروفى الأبدان التائهة ، والتقط بعباراتى الأرواح الشاردة ، وأذب بسطورى العيون الجامدة . .

اللهم ... نزه قلوبنا عن التعلق بمن هو دونك ، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك " . .

فهيا نطرق الباب .. وإذا سُئلت : منً ؟!

فقل بصوت حزين وقلب ذليل

« أنا الفقير إليك » ..

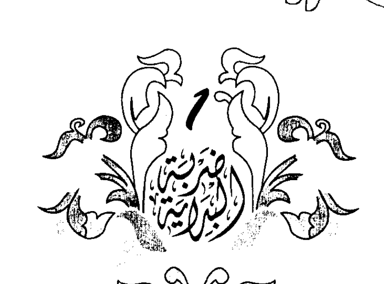
هيا بنا إذا

أخوكم
الملتمس رضاء ربه
شريف محمد شحاتة

١ من يناير لعام ٢٠٠٦ من الميلاد
١ من ذي الحجة لعام ١٤٢٦ من الهجرة

الزيارة الأولى

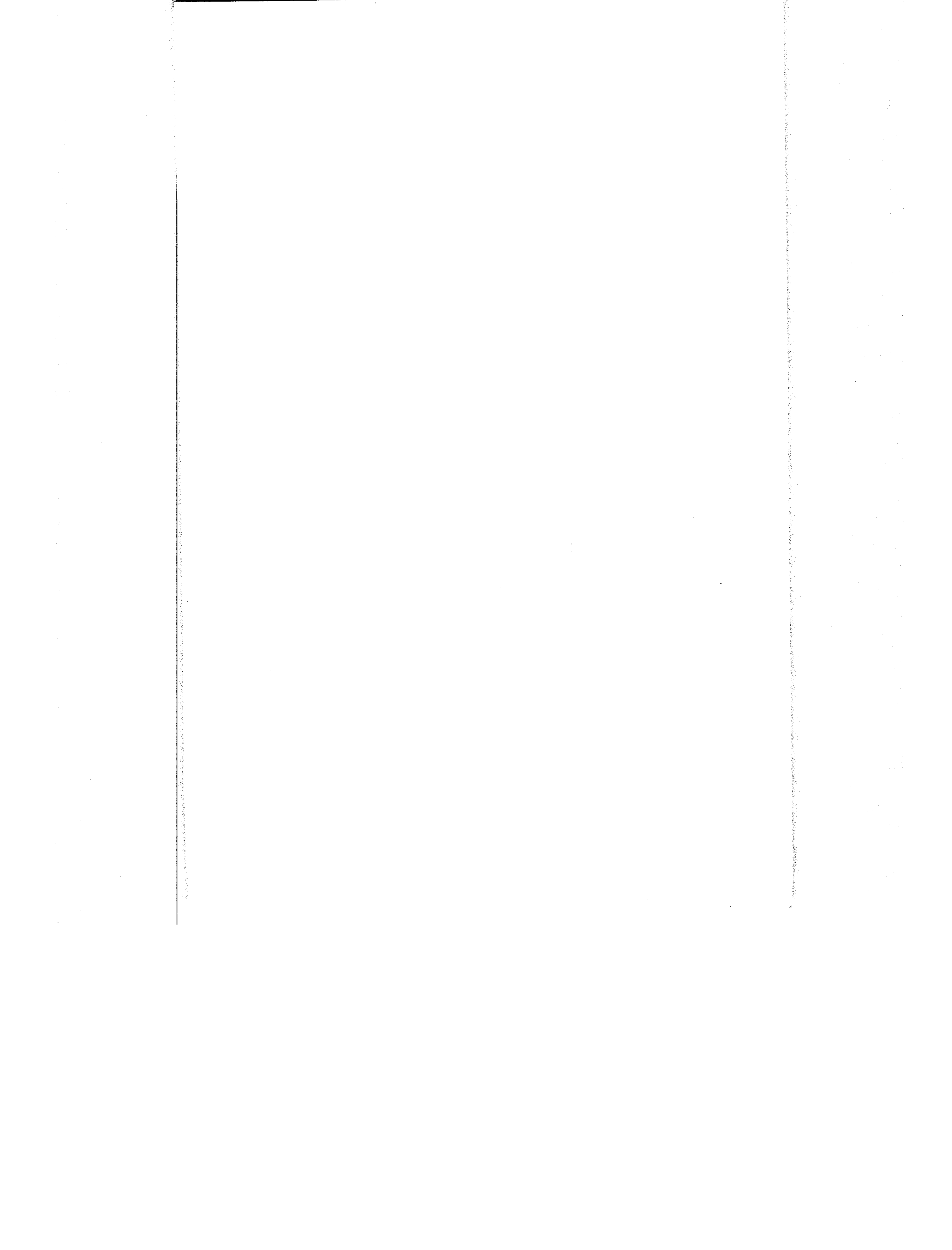
إلا ليعبدون وجرعات شافية



رُب إنسان لا يدرى لماذا خلق ؟!.. ولا يعلم لماذا وجُد ؟!.. فلا يدرى ما يطلب فى حياته .. وليس له غاية من حركاته وسكناته ..لذا أبصر وجهتك .. واطلب غايتك ..وأعلى رايتك .. وانصر مبدأك .. واعلم رسالتك .. وتيقن أنه لا مفر !!

" لا مفر للخلق من العبودية وأنى لهم المفر ،والسماء فوقهم والشرائع تحت السماء .. وويل للإنسان الذى لا يكتفى بالله فى سمائه،حتى يستعبد لصفاته فى أهل الأرض " (1)

(1) حديث القمر/28



هلا استجبتم ؟!

إنتباه

يوقظك **ابن القيم** " التزم العبودية من الذل والخضوع والإنابة، وامتثال أمره واجتناب نهيه، وداوم الافتقار إليه واللجأ إليه، والاستعانة به والتوكل عليه، واستعذ به وأن لا يتعلق قلبك بغيره محبة وخوفًا ورجاءً . . أى بداخلك **أنى عبد من جميع الوجوه صغيراً وكبيراً، حيًا وميتًا مطيعًا وعاصيًا**، وفيه أيضًا أن مالى ونفسى ملك لك فإن العبد وما عليه لسيده ؛ أنك الذى مننت علىَّ بكل ما أنا فيه من نعمة، فذلك كله من إنعامك على عبدك . .

« والعبد موته وحياته، وسعادته وشقاوته، وعافيته وبلاؤه، كله إليه سبحانه » [1]

حلاوة الإمتثال

فكم من أفكار فاسدة، وآراء خاطئة، تصُححها تلك الاستجابة الربانية وتجلو لنا وجوه الحق فيها، كما أن تلك المعانى إذا حلقت فى سماء القلب وارتشفت منها الروح، يصير الإنسان عبدًا يقظًا، مرهف الحس، ينتفض بتيارات الروح القرآنى فيستخرج دقائق إشاراته وخفى عباراته . .

لذا حين تكون الاستجابة سريعة فورية زكية، فمثل هذا العبد الذى هو أنا وأنت، لا يأبه لأعاصير هادرة ولا لبوارق راعدة ولا لعواصف باردة : « **إنما يطيع العبد ربه على قدر معرفته به، وخوفه منه، وإن الله ينزل عبده على قدر منزلته منه . . فهو سبحانه من أعطى ومنع، وقبض وبسط، وسع وضيق فَتَعرف إليك، أى طلب منك أن تعرفه بصفاته وأسمائه فاطلب أنت معرفته فى كل حال، وأقبل عليه بكليتك . . تكن عبده حقًا وهو ربك حقًا وصدقًا** » [2]

تحـيـا بكم كل أرض تنزلـون بهـا
كـأنكم فى بقـاع الأرض أمطـارُ
وتشـتـهى العـين فـيكم منظراً حـسنًا
كـأنكم فى عـيـون الناس أزهـارُ
ونوركم يهـتـدى السـارى برؤيتـه
كـأنكم فى ظلام الليل أقـمـارُ

---

(1) الفوائد / 32 . (2) فقه السالكين / 39-40 .

إلى الباحثين

سأل موسى ربه « **يا رب أين أجدك ؟ قال** : **عند المنكسرة قلوبهم** »[1] . .

عند المنكسرة قلوبهم الذين إذا حلت بهم مصـيبة . . قالوا ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة: 156]

عند المنكسرة قلوبهم: الذين إذا نزل بهم مرض . . استغاثوا وإذا مرضت فهو يشفين .

عند المنكسرة قلوبهم : الذين إذا هاجمهم البلاء . . صبروا فوفوا أجورهم بغير حساب .

عند المنكسرة قلوبهم: الذين إذا ارتقوا المناصب . . لم يستطيلوا على الخلق وتواضعوا .

عند المنكسرة قلوبهم : الذين إذا انتابتهم الهموم . . نادوا : ألطف بخلقك يا لطيف .

عند المنكسرة قلوبهم: الذين إذا زارتهم الأفراح . . لهجت الألسن بالشكر والحمد والثناء .

عند المنكسرة قلوبهم: الذين إذا أتتهم الطاعة . . رفعوا أكف الوجل« **اللهم تقبل يا كريم** » .

لا تُنكر الجميل

فهو الذي رباك بنعمته . . وهداك إلى معرفته . .

فما لك لا ينقطع قلبك إليه؟! . . وما لك لا تعتمد في مهامك وحاجاتك عليه ؟! . .

يا مسكين : إن أعرضت وأبيت وفي جحودك تماديت ، فما أفقرك إليه وما أغناه عنك!!

يا مسكين : أنت إن لم تكن له فإنه عنك غني وأنت المسكين . . وإن لم يكن لك فمن ذا الذي يحسن إليك ؟

ومن ذا الذي ينظر إليك ؟ ومن ذا الذي يهتم بشأنك ؟

يا مسكين : بمن تتوسل إذا طردك عن بابه ؟ وهل أنت إلا من أحد طلابه ؟

وكأنه يناديك «**عبدي أنا لا أرضى إلا أن تكون لي، أفترضى أن لا أكون لك؟!!**» . .

إخواني :

« الإنسان سره بداخله ، ومفتاح هذا السر في أن يتعرف على ربه ، فيختلف عن الآخرين ، يفرح بينما هم يتألمون كأنه ليس منهم ؛ يُسَّر بينما هم يحزنون لأنه يفهم عن ربه ويبغي رضوانه » .

---

(1) خواطر الفجر / 12 .



دروب وأقسام

قسم العلماء العباد على ثلاثة دروب :

الأول : «من يعبده خوفًا من عقوبته ، أو طمعًا فى رحمته عاجلاً ، أم آجلاً وفيهم من يقول النبى ﷺ « **لولا النار ما سجد من ساجد** » وهؤلاء عبادتهم « **بنفسهم لأنفسهم** » . .

الثانى : من يعبده محبة فى ذاته ، وشوقًا إلى لقائه ، لا طمعًا فى جنة أو خوفًا من نار وهم المحبون من السالكين وهؤلاء « **بأنفسهم لله** » . .

الثالث : من يعبده قيامًا بوظائف العبودية ، وهم المتقدمون من السالكين وعبادتهم « **بالله ولله ومن الله وإلى الله** »[1] .

كى تتضح الرؤية :

وظف مراتب العبودية **أهل العلم** . .

(**قول القلب** : اعتقاد ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عن نفسه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقاءه على لسان رسوله .

قول اللسان : الإخبار عنه ، والدعوة إليه ، والقيام بذكره ، وتبليغ أمره .

عمل القلب : محبته والتوكل عليه ، والإنابة إليه ، والخوف منه والرجاء له ، وإخلاص الدين له ، والصبر على أوامره ونواهيه وعلى أقداره ، والذل والخضوع . .

عمل الجوارح : الصلاة ، الصيام ، الجهاد . . مساعدة الغير ونقل الأقدام فى الطاعات والإحسان إلى الخلق) . .

ذلك هو الله :

وذات مرة سأل رجل **الإمام جعفر الصادق** عن الله فقال : ألم تركب البحر ؟ قال : بلى . . قال : فهل حدث لك مرة أن هاجت بكم الريح عاصفة ؟ قال : نعم . . قال : وانقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة قال : نعم . . قال : فهل خطر فى بالك وانقدح فى نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء ؟ قال : نعم . . قال : **فذلك هو الله** . .

(1) فقه السالكين بتصرف/ 117-118.



ها .. هل كمُل إيمانك ؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى رسالة العبودية " العبادة أصل معناها الذل ، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهى تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له . . ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدًا له ، ولو أحب شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابدًا له . . بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شىء ، وأن يكون أعُظم عنده من كل شىء ، بل يستحق المحبة والخضوع ، وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة ، وما عظم بغير أمر الله فتعظيمه باطل .

وإنما عبد الله الذى يرضيه

ما يرضى الله ، ويسخطه ما يسخط الله ،

ويُحب ما أحب الله ورسوله ، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ويوالى أولياء الله ، ويعادى أعداء الله .

هذا هو الذى استكمل الإيمان "[1]

لذا فهذا العابد " لا يضطرب من شىء ، وكيف يضطرب ومعه الاستقرار ؟

لا يخاف من شىء ، وكيف يخاف ومعه الطمأنينة ؟

لا يخشى مخلوقًا وكيف يخشى ومعه الله ؟ "[2] . .

همسة

نستخلص من ذو النون المصرى خلاصه تجربته « أن تكون عبده (الله) فى كل حال . . كما أنه ربك فى كل حال »[3]



(1) رسالة العبودية لابن تيمية .
(2) وحى القلم / 14/2 .
(3) الرب الفشيرية / 198 .

جرعات شافية

الجرعة الأولى .. أجب ربك

يقول الحق سبحانه " **يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى ، فيقول العبد وكيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ فيقول : أما استطعمك عبدى فلان أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى ، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى ، فيقول العبد : وكيف أسقيك يا رب وأنت رب العالمين؟ فيقول : أما استسقاك عبدى فلان أما علمت أنك لو أسقيته لوجدت ذلك عندى ،**

يا ابن آدم : مرضت فلم تعدنى ، فيقول العبد : وكيف أعودك يا رب وأنت رب العالمين؟، فيقول : أما مَرِض عبدى فلان أما علمت أنك لو عُدته لوجدتنى عنده "[1] . .

ولعل اندراج الألفاظ الأخيرة « **لوجدت ذلك عندى** » واللفظ الأخير « **لوجدتنى عنده** » . . يلوح للعقل بأن أضعف ما يكون العبد أمام نفسه وهو مريض فلا يردد لسانه إلا « **يا رب** » . . ولا يستنجد بأحد إلا بقوله « **يا رب** » .

وهنا تتقشع ظلمات التجبر والجحود لهذا السبب القهرى، الذى ربما يُرسله الله للإنسان لكى يعرف قيمته . . التى أنستها إياه الدنيا والمال والحياة والشهوة . . وهنا تهبط معانى العبودية فَتُترجم على الجوارح . . وهنا يلوح الثواب « **لوجدتنى عنده** » . .

فوالله . .

ما أجمل العافية ما أغلاها . . ما أثمنها عند من يقدرها حق قدرها . . ما أقل شكرك لخالقك على العافية ؟ ما أشد تقصيرك ؟ . . ما أقسا قلبك؟ . . ما أشد إنكارك ؟ . . هل هو أمر سهل أن تمشى على قدميك فى عافية وتستنشق الهواء وتشرب الماء وتأكل لذيذ الطعام وتملأ العين بالنوم الهنيء وغيرك نغص عليه ذلك؟! . .

فاجعل همتك مصروفة لحبيبك **محمد** ﷺ ومن والاه وصار على نهجه . . واقتفى أثره . .

---

(1) صحيح .

الجرعة الثانية: سماع فتعلم ففرج قريب

يقول ﷺ " **ما أصاب عبداً من هم ولا حزن ، فقال : اللهم إنى عبدك ، ابن عبدك ، ابن أمتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فىَّ حكمك عدل فى قضاؤك ، أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحد من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيبَ عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ، ونور صدرى ، وجلاء حُزنى ، وذهاب غمى ..إلا أذهب الله همه وغمه ، وأبدله مكانه فرحًا** . . قالو يا رسول الله أفلا نتعلمهن ؟ قال : « **بلى .. ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن** » [1].

حين تهجم سحب الأحزان ، وتتكاثف قيود الهموم والغموم ، فلا تجد مخرجًا وتضيق عليك نفسك ، وكأن روحك تتصاعد من حلقك ، وتكاد الظروف أن تخنقك ، فتتنهد أنفاسك بصعوبة ، وكأن الدنيا ولتك ظهرها ، وانسحب الناس من حولك ، وصرت وحيدًا لا مؤنس ولا مُهوِّن . .

فيفتح لك الرب طاقة الفرج وفسحة الأمل ، ويبثك الطمأنينة ويمد لك يد العون ، فتخر له ساجدًا ممدًا يدك لاستقبال تلك الجرعة ، فيردد اللسان تلك الكلمات ويعيشها القلب . .

فما هو إلا قليل وترى

سحائب الفرحة ، وأنوار الاطمئنان ، تمكنت من القلب ورفرت معها الروح . .

وكما يقول العامة «**الشكوى إلى الناس مذلة** » . .

وها أنت قد شكوت لمن سيزيح عنك ويرأف بحالتك . .

واتخذها صنعة

طوبى لمن أنصف ربه

« طوبى لمن أنصف ربه فأقر بالجهل فى علمه ، والآفات فى علمه ، والعيوب فى نفسه ، والتفريط فى حقه ، والظلم فى معاملته ، فإن أخذه بذنوبه رأى عدله ، وإن لم يؤاخذه بها رأى فضله ، وإن عمل حسنة رآها من منة وصدقه عليه ، فإن قبلها فَمنَة وصدقة ثانية ، وإن رَدها فلكون مثلها لا يصلح أن يواجَه به ، وإن عمل سيئة رآها من تخلَيه

(1) صحيح .

عنه وخذلانه له وإمساك عصمته عنه، وذلك من عدله فيه، فيرى فى ذلك فقره إلى ربه، وظلمة إلى نفسه، فإن غُفر له بمحض إحسانه وجوده وكرمه . . ومن عَظَم وقار الله فى قلبه أن يعصيه وقره الله فىَ قلوب الخلائق أن يذلوه »[1].

أخى . .

ارجع إلى الله واطلبه من عينك وسمعك وقلبك ولسانك ولا تشرد عن هذه الأربع فما رجع من رجع إليه إلا بتوفيقه، وما شَرَد من شَرَد عنه الا بخذلانه . .

فالموفق .. يسمع ويبصر ويتكلم ..

والمخذول .. من اتبع نفسه وهواه ..



---

(1) الفوائد.

الجرعة الثالثة : خذ خطوة.. والباقى عليه

إعـلان .. هـام

يقول تعالى فى الحديث القدسى :

« يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم.

يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم ، يا عبادى : إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى.

يا عبادى لو أن أولكم وأخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ،

يا عبادى : إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » (1)

أراك تعيد قراءة الحديث

نحن المسـيئون ومن ذنبنا
إليـك يارب الورى تائبون
فلا تؤاخذنا بأفعالنا
إنا على أنفسنا مسرفون
قد مسنا الضر ولا راحم
سواك يا من لا تراه العيون
لا نشتكى إلا إلى راحم
يطمع فى رحمته المذنبون

وجهة نظر ..

وبنفس الروح وتلك المسكنة استنبط ابن المبارك رؤيته فكتبها « إن البصراء لا يأمنون

(1) مسلم ...
(2) (شعب الإيمان-البيهقى506/1)

من أربع خصال : ذنب قد مضى لا يدرى ما يصنع الرب فيه ، وعُمر قد بقى لا يدرى ماذا فيه من المهلكات ، وفضل قد أعطى لعله مكر واستدراج ، وضلالة قد زُينت له فيراها هدى، ومن زيغ القلب فى ساعة أسرع من طرفة عين، فيسلب منه دينه وهو لا يشعر »[1]

ابحث عن قفل السماء

رأى **شفيق بن إبراهيم** حالنا فقال « أغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء : اشتغالهم بالنعمة عن شكرها ،

ورغبتهم فى العلم وتركهم العمل ،

والمسارعة فى الذنب وتأخير التوبة ،

والاغترار بصحبة الصالحين وترك الإقتداء بهم ،

وإدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها ،

وإقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها » . .



(1) شعب الإيمان-البيهقى 506/1

الجرعة الرابعة : تسليم قلب

عن أبى العباس عبد الله بن عباس قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال : « **يا غلام إنى أعلمك كلمات ؛ احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ،وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى عليك ,, رفعت الأقلام وفت الصحف** » [1] . .

احفظ الله . . احفظ حدوده . . حقق أوامره . . اجتنب نواهيه . . احفظ نفسك عن معاصيه . . حصن قلبك عن السخط على قضائه . . ولكى نغرس بذرة هذا اليقين فاستعن بغرس السلف " من اتقى الله فقد حفظ نفسه ، ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه ، والله غنى عنه ومن عجيب حفظ الله لمن حفظه أن يجعل الحيوانات المؤذية بالطبع حافظة له من الأذى . . كما جرى لسفينة مولى النبى ﷺ حيث كُسر به المركب وخرج إلى جزيرة ، فرأى الأسد فجعل يمشى معه حتى دله على الطريق ، فلما أوقفه عليها جعل يهمهم ، كأنه يودعه ثم رجع عنه "[2] . .

وابن رجب يشرح

مقعد الحديث : « الاستعانة بالله دون غيره من الخلق ، فإن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره ، ولا مُعين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل ، فمن أعانه الله فهو المعان ، ومن خذله فهو المخذول ، وهذا تحقيق معنى «**قول لا حول ولا قوة إلا بالله** » . . فإن المعنى لا تحول للعبد من حال إلى حال ولا قوة له على ذلك إلا بالله ، وهذه كلمة عظيمة وهى كنز من كنوز الجنة ، فالعبد مُحتاج إلى الاستعانة بالله فى فعل المأمورات ، وترك المحظورات ، والصبر على المقدورات كلها ، فى الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة ، ولا يقدر على الإعانة على ذلك إلا الله عز وجل ، فمن حقق الاستعانة عليه فى ذلك كله أعانه » [3]

وهذا مصداق قوله ﷺ : " **احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز** " [4] . .

ولأن قلوب السلف كانت حاضرة وآذانهم صاغية فرفعوا أصواتهم متعجبين . . فكان من كلامهم " يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يرجو غيرك وعجبت لمن يعرفك كيف يستعين بغيرك " [5]

---

(1) صحيح . (2) حسن .
(3) جامع العلوم والحكم -ابن رجب الحنبلى/ 316 . (4) صحيح .
(5) جامع العلوم والحكم / 317 .



* قال : اليهود لموسى : ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾[المائدة : 24] . .
وقال الصحابة للرسول ﷺ : «لو استعرضت بنا البحر لخضناه معك!» .

فَقُطعوا أمامه . . فصار كل بيت فيه قتيل . . لأنهم ﴿ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب : 23] .

* قال **الحسن البصرى**: يا ابن آدم . . خالف موسى الخضر ثلاث مرات ، فقال : هذا فراق بينى وبينك . . وأنت تخالف الله فى اليوم مرات ، ألا تخشى أن يقول لك . .

هذا فراق بينى وبينك ؟!

* رفع الكفار **خبيب بن عدى** على خشبة الموت فأنشد طربًا وامتلأ عجبًا ؛ وقال قصيدة الحب كل الحب فسمعها المحبون . . لكن عبده الأصنام فى سكرة يعمهون . .

ولست أبالي حين أقتـــل مســـلمًا على أى جنب كان فى الله مصرعى

فما يحلو الشعر إلا فى المعمعة ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ④ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ⑤ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [محمد : 4] .

* قال خبيب للكفار : انظرونى لحظة قالوا : تكتب الوصية؟

قال لسان الحال : لا ميراث . . لكن أصلى ركعتين . .

أراد أن يطيلهما فخاف أن يوصف بالجبن وهو أبو الشجاعة . . رفعوه على المشنقة فدعا دعاء القنوت . . «اللهم أحصهم عددًا . . واقتلهم بددًا . . ولا تغادر منهم أحدًا . . »

آمين .آمين.. آمين.

* كان الصحب الكرام على الطريق سائرون . . وعلى الدرب ثابتون . . ومنهم من أقلقه عطش الحذر فتبرد بماء الرجاء **كبلال بن رباح** كانت زوجته عند الموت تقول : واكرباه؛ وهو يقول : واطرباه غدًا ألقى الأحبة محمدًا وصحبه .

لأن بلال فهم أن الإمام لا ينسى المؤذن

* من يحب العز بدأب إليه ، فكذا من طلب الدر غاص عليه ، لولا التسلى بالعبادة

ما جاء أبو بكر مدحه «**أنا عنك راض**»؛ . . ولولا إرسال البراءة إلى الضرة من **على بن أبى طالب** «**طلقتك ثلاثًا . . لا رجعة فيها**» ما اشتاقت الجنة إليه .

* الحديد يتمدد بالحرارة وينكمش بالبرودة . . والخشب يتمدد بالبرودة وينكمش بالحرارة . . وبعض الناس لا يتمدد ولا ينكمش ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا**﴾ [الأعراف : 179] .

لقد أسمعـت لو ناديت حـيًا ـــــ ولكـن لا حـياة لمن تـنادى

* كان **الفضيل بن عياض** ميتًا بالذنوب . . **وإبراهيم ابن أدهم** مفتونًا بالكبر . . **ومالك بن دينار** بالشهوات . . فنفخوا فى صور المواعظ . . فدبت أرواح الهدى . . وانشقت عنهم قبور الغفلة ﴿ **كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ**﴾ [البقرة: 179] وبعدها علا الهتاف ﴿**قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ . .

* يا أهل الذنوب والخطايا ألكم صبر على عقوبة ﴿**كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ**﴾ [المعارج: 15]؛ إذا شاهدت من اشترى لذة ساعة بعذاب سنين ﴿**تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّ**﴾ [الملك : 8]؛ . . قل لهم كيف آمنوا ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا** ﴾ [مريم :71] .

لأنه : «ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» .

* واعجبًا !! يتحبب إليك ربك وهو عنك غنى . . وتتمقت إليه وأنت الفقير . . إن تأخرت قَرَّبك . . وإن توانيت عاتبك . . ما آثر عليك من المخلوقات شيئًا . . وأنت تؤثر عليه كل شىء!! فنكس رأس الندم قبل العتاب ،

وأسمعنى منك الجواب؟!.

* لما رأى الصالحون سطوة الدنيا بأهلها ، وتملك الشيطان قياد النفوس ، لجأوا إلى حرم التضرع كما يأوى الصيد المذعور إلى الحرم . . فلو رأيتهم يمشون فى ثياب التحمل بالطاعة . . وينامون ولا نوم الغرقى . . ويأكلون ولا أكل الثكلى . . فناديتهم

أرحموا عزيز قوم ذل

يا أنت : أين أنت والطريق؟ نصب فيه **آدم** وناح لأجله **نوح** ، ورمى فى النار **الخليل** واضطجع للذبح **إسماعيل** وبيع **يوسف** بدراهم ، ونشر بالمناشير **زكريا** ، وضنى بالبلاء **أيوب** ، وزاد على القدر بكاء **داود** ، وتنغص فى الملك عيش **سليمان** ، وصارع فرعون **موسى** ، وهام مع الوحوش **عيسى** ، وعالج الفقر والضياع **محمد** .

فأين بصمتك يا صاحب الهمة؟



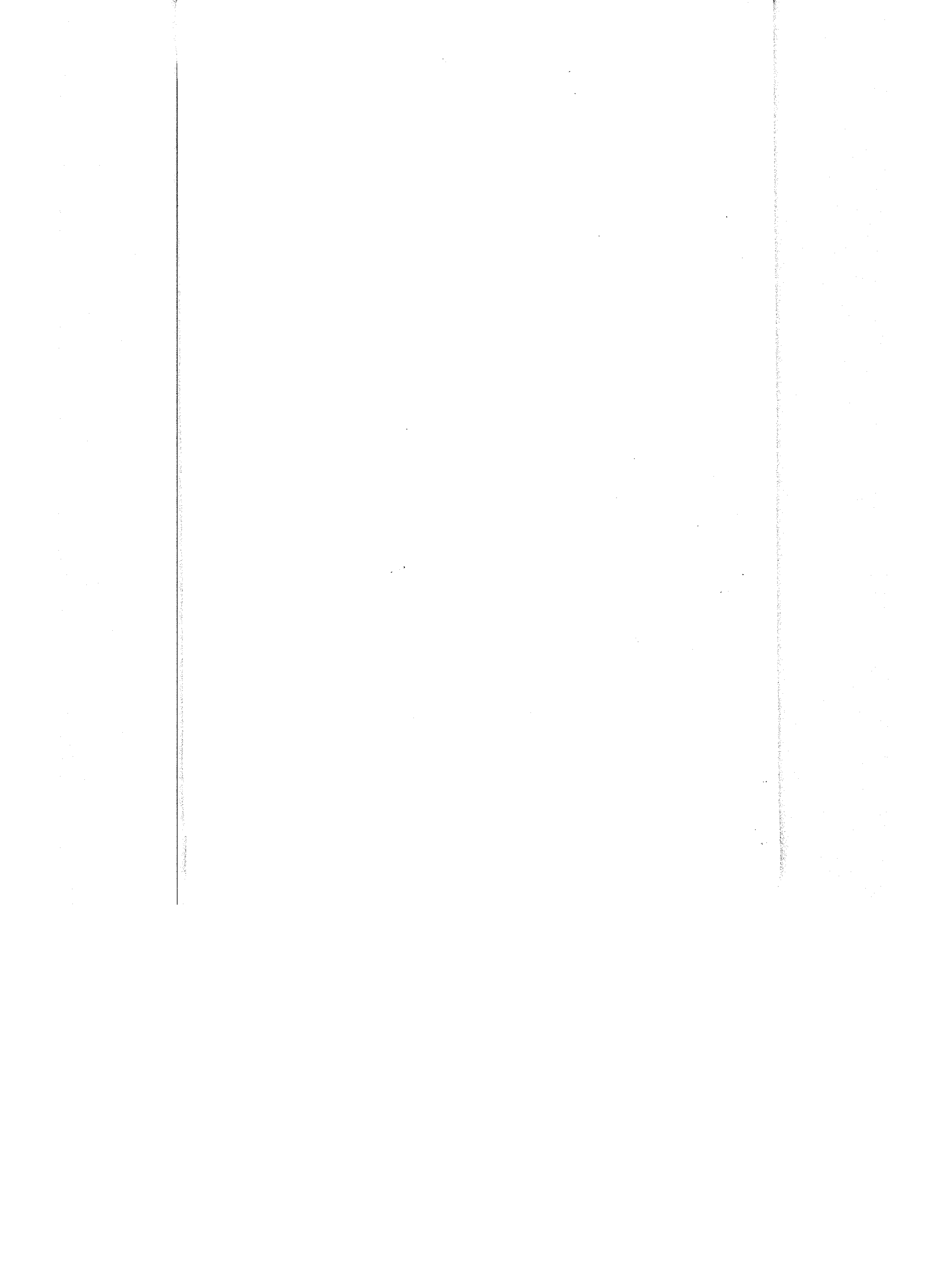
الزيارة الثانية

مدرسة الحبيب
وغرسه فى
الصحابة



" لقد طغت المادية على حياة مجتمعاتنا،فى الوقت الذى انحسرت الربانية إلى حد كبير ، وذلك نتيجة تلك الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع،والشهوات التى غزت بلادنا .. لقد طغى ظلام المادة، فى حياتنا على نور الحق وسمو الروح،لقد سادت المقاييس والموازين المادية على المقاييس الربانية،لقد استحوذت الدنيا بمتعها التافهة الزائفة على اهتمام الكثير من الناس، وصارت أكبر همهم ومبلغ علمهم وشغلوا بها عن الحياة الآخرة الدائمة ونعيمها،لقد هبطت أخلاق الكثيرين حتى صارت أقرب إلى البهيمية منها إلى الإنسانية،فحلت الأنانية محل الإيثار، والتنازع والاقتتال محل الحب والوئام" (1)

(1) بين الربانية والمادية - مصطفى مشهور /8.



مدرسة الحبيب

اتفاق وإجماع

اتفق أهل العلم " إن أعظم الطرق إلى الله سبحانه هو طريق العبادة ، ويوم أن مدح الله تبارك وتعالى أنبياءه ورسله قال « **وكانوا لنا عابدين** » ، وقال عن زكريا لما أصلح له زوجه ﴿ **وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾[الأنبياء: 90] ولما أراد الله سبحانه أن يشرف رسوله لم يقل له : أيها الهاشمي ولا قال : يا أبا القاسم ولا قال : أيها الرسول ولا أيها النبي إلا في مواطن محددة ، لكن في موقف التشريف قال : ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا** ﴾ [الإسراء: 1] وفي موقف الإنذار قال ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا** ﴾ [الجن: 19] وفي موقف إنزال القرآن عليه قال ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا** ﴾ [الفرقان: 1] .

أعظم إنسان عرف ربه

« إن أعظم إنسان عرف ربه ، وتحولت كل ذرة في كيانه إلى قوة ساجدة ، هو **محمد بن عبد الله** ، كان القرآن له خلقًا فهو يستبطن معانيه ويدور مع توجيهه ، أنه مشدود أبدًا إلى آيات الله في الوحي الهادي والملكوت الواسع ، وهو يجتذب من اتصل به إلى هذا المستوى الطهور العالي ، فيجعله عارفًا بالله قوامًا بأمره . . لذلك رأينا أصحابه أصدق إيمانًا وأصفاهم فطرة . . وأبرز ما في سيرته أن حبه لله وإعظامه لله وتفانيه في الله ينتقل من نفسه إلى من حوله ، فكأنهم في سباق إلى حمد الله والثناء عليه »[1] .



(1) فن الذكر والدعاء لمحمد الغزالي/ 97.



المعلم يعلم

• عند العبادة:

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر (تتورم وتشتقق) قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فرد بصيغه، فردد بصيغة الصابر الشاكر : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** »[1] .

ولا زال الكلام على لسان السيدة **عائشة** . . عندما قالت لرجل : « **لا تدع قيام الليل فإن رسول الله كان لا يدعه وكان إذا مرض أو قالت كسل صلى قاعدا** » [2] .

يا سادة : أما جاء هذا اليوم الذى تنهض فيه الأقدام ، وتخشع القلوب ، وتدمع العيون وتردد الألسنه « **اللهم لك الحمد كله ولك الشكر كله** » أما احمر الوجه إستحياءً

من الله ومن رسوله ؟!..

• عند الانتصار:

يوم فتح الله له مكة واندحرت جحافل قريش الطاغية الباغية التى نصبت له فخ العداء نحو عشرين سنة ، وانتصر على صناديد الكفر ، ورغم ما رآه من سوء معاملتهم وقسوة قلوبهم وشدة تعذيبهم ، وهو القائد المظفر ، دخل على جمل . .

ولكن أتدرون ما حاله ؟ دخل وهو مطأطأ الرأس خضوعاً وشكراً لله سبحانه . .

لأنه مهما انتفشت أسباب النجاح وسطع بريقه فلا تغررك نفسك ولا تأخذك العزة وانظر للمنعم . .

فعن **ابن عمر** مرفوعًا « **إن الرجل يأتى يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقدم النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفذ ذلك إلا أن يتطاول الله برحمته** » [3] .

• عند الصحب الكرام:

كان رسول الله ﷺ فى سفر مع جماعة فلما حان موعد الطعام عزموا على إعداد

---

(1) متفق عليه .

(2) صحيح .

(3) الطبرانى فى الأوسط .

شاه يأكلونها، فقال أحدهم : عليّ ذبحها ، وقال الآخر عليّ سلخها ، والثالث عليّ طبخها ، فقال الرسول ﷺ « **وأنا عليَّ جمع الحطب** » فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك العمل فقال " **علمت أنكم تكفوننى ، ولكننى أكره أن أتميز عليكم، وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه مميزاً بين أصحابه !!** » . .

• عند المساكين :

أُنظر عطفه على المساكين ورجاءه " **اللهم أحينى مسكينًا و أمتنى مسكينًا و احشرنى فى زمرة المساكين** " [1] ، وليس هذا طلباً للفقر بل للرحمة والتواضع . . فهو من تعدد " **اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر !!** . . ونصيحته " **إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم** » [2] .

• عنـــد ربـــه :

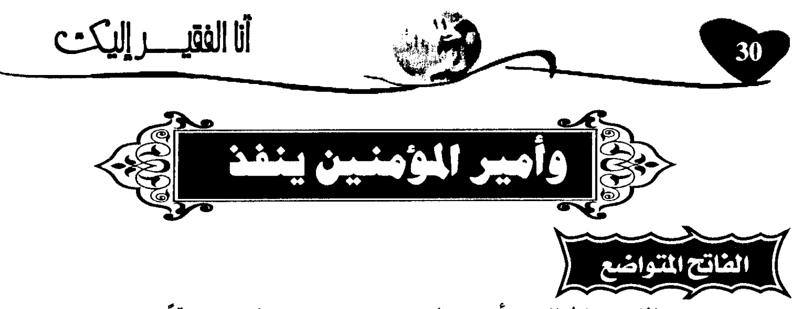
روى الطبرانى أنه كان مما دعا به النبى ﷺ عشية عرفة « **اللهم إنك ترى مكانى وتسمع كلامى وتعلم سرى وعلانيتى ؛ لا يخفى عليك شيء من أمرى** » .

أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، من خضعت لك رقبته، وذل جسده ورغم أنفه .. اللهم لا تجعلنى بدعائك شقياً وكن بى رءوفاً رحيما يا خير المسئولين ويا خير المعطين » .

ولا أحد ينسى يوم **الطائف** حين رفع قلبه أكف الضراعة " **اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ! إلى من تكلنى ؟ إلى عدو يتجهمنى أم إلى قريب ملكته أمرى ؟ إن لم تكن ساخطاً عليَّ فلا أبالى ،غير أن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الكريم الذى أضاءت له السماوات والأرض وأشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تحل عليَّ غضبك ، أو تُنزل عليَّ وسخطك، ولك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك** " .



(1) صحيح .
(2) المنذرى واحمد .



الفاتح المتواضع

ونهل من ذلك بن الخطاب فتأمل حاله عندما دخل بيت المقدس فاتحًا .

« كان بينه وبين غلامه الذى معه مناوبة (كل واحد منهما يركب الراحلة بالتبادل) ، فلما قرب من الشام كانت نوبة ركوب الغلام فركب الغلام ، وأخذ عمر بزمام الناقة فاستقبله الماء ، فى الطريق فجعل عمر يخوض فى الماء ونعله تحت إبطه اليسرى ، وهو آخذ بزمام الناقة ، فخرج أبو عبيدة وكان أميرا على الشام وقال : يا أمير المؤمنين إن عظماء الشام يخرجون إليك فلا يُحسن أن يروك على هذا الحال ، فقال عمر : **إنما أعزنا الله بالإسلام فلا نبالى بمقالة الناس** »(1)

وروى أنه سجد سجدة عند تسلم مفتاح بيت المقدس من صلاة العشاء فما رفع رأسه إلا والفجر يُؤَذَن له !!

الأمير المسكين

وكان أمير المؤمنين مفعم الصدر بخشية الله وهو يمشى فى أزقة المدينة ، يتفقد رعيته ، ويُنصت المسامع ليتعرف ما هنالك ، كان يحمل هموم الجماهير ، ويسهر ليقدم حسابًا إلى الله عما وُلى من شئون الأمة ، وكانت تلك المشاعر المضغوطة كالوقود الذى يرتقب شعلة ليلتهب . .

« وإذا مرة سمع ﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴾ كان ذلك كافيًا ليوجل قلبه ، ويشحب وجهه ، وتدمع عينه ، ويئوب إلى بيته عليلاً وما به علة ، إلا مخافة الله والإذلال لعظمته » (2) .

وعمر إن شاء الله يبعث من الآمنين ، فهو من السابقين الأولين والعشرة المبشرين ، ولكن الضمير الحساس لا يعرف طمأنينة حتى يلقى الله بما أدى ووفى . . !!

والنجاشى مع الركب سار

أصبح النجاشى يوماً جالساً على الأرض تاج الملك ، فَأَعَظَمت بطارقته ذلك وسألوه

(1) تنبيه الغافلين للسمرقندى / 141 .
(2) فن الذكر والدعاء / 106 .

عن السبب الذى أوجبه ، فقال : إنى وجدت فيما أنزل الله على المسيح : « **إذا أنعمت على عبدى نعمة فتواضع . أتممتها عليه ، وإنه ولد لى هذه الليلة غلام فتواضعت شكراً لله**[1] . .

وابن الجوزى يضع المقياس

« من أراد أن يعلم حقيقة الرضى عن الله عز وجل فى أفعاله ، ومن أين ينشأ؟ فليفكر فى أحوال الرسول ، فإنه لما تكاملت معرفته بالخالق سلم تسليم مملوك لحكيم فكانت العجائب تجرى عليه . . إنه ابُتلى شديد . . وهذا الشىء ما قدر على الصبر عليه كما ينبغى لنبى قبله ولو أُبتليت به الملائكة ما صبرت . . هذا آدم يباح له الجنة سوى شجرة فلا يقع ذباب حرصه إلا على الفقر . . وعيسى يقول « **إن صرفت الموت عن أحد فاصرفه عنى** » وسليمان يقول : **هب لى ملكاً** . . ونبينا ﷺ يقول فى المباح . . **ما لى وللدنيا ؟!!!** . »

يا أرباب القلوب الضائعة : لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة ؟!.



(1) العقد الفريد لابن عبد ربه / 1/ 139 .



انصب خيمتك

يا حبيب رسول الله : ما حالك وهذه العبادة ؟! وأين أثرك ؟! أحب عبادات الله إليه وخير عباد الله من كان كذلك . . فهل استشعر قلبك حقيقة فقرك إلى الله ؟! وأخبرني متى تحنى رأسك اعترافًا لربك ؟! . .

وإن فعلت فمثلك كمن أصلح أرضًا طيبة وألقى البذر الطيب، ثم أمدها بماء الذل والخضوع ورعاها حق رعايتها ونقلها من آفات الكبر والعجب والرياء، ثم جلس ينتظر فضل الله عليه ليتم الزرع نضجه ويبلغ استواءه . .

أما من بذر في أرض بوار لا يصل إليها ماء أو ينعشها هواء ولم يرعاها وجلس منتظرًا حصادها كان انتظاره حمقًا وغرورًا . . وإذا طلبت مزيدًا من التفاصيل فيكمل الحسن الكلام إذ يصف حال المؤمنين « **عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها ، وخافوا أن ترَدّ عليهم ، إن المؤمن جمع إحسانًا وخشية والمنافق جمع إساءة وأناة** » [1] . .

ردد معي :

أسألك بعزك وذلي إلا رحمتني، أسأل بقوتك وضعفي، وبغناك عني وفقري إليك، هذه ناصيتي الكاذبة الخاطئة بين يديك ، عبيدك سواي كثير ، وليس لي سيد سواك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك،

أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل إليك ابتهال الخاضع الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، سؤال من خضعت لك رقبته ورَغِمَ لك أنفه، وفاضت لك عيناه ، وذل لك قلبه . .

أحضر قلبك معك وجرب ذلك حالاً حالاً ..

ويهتف حمدًا جمال الصباح

وسحر الربيع الشهي العطر

---

(1) الحسن البصري / 121 .

وســحــر الســمــاء الشــجى الوديع
وهــمــس النــســيــم ولحن المطر
تــســبــحــه نغــمــات الطيــور
يــســبــحــه الظــل تحت الشــجــر
يــســبــحــه النبــع بيـن المروج
يــســبــحــه دومـًا أريــج الزهــر
يــســبــحــه النور بين الغــصــون
وســحــر الســمــاء وضــوء القــمــر

همسة :

قال أحد الصالحين « ما أصغيت إلى صوت حيوان، ولا حفيف شجر، ولا خرير ماء، ولا ترنم طائر، ولا قعقعة رعد، إلا أجدنى مردداً » .

كل قد علم صلاته وتسبيحه



الزيارة الثالثة

أنا عبد لله .. لماذا؟!



ووصل إلى أنه " أكبر العار على الكائن الذى أوتى العقل والإرادة أن يعيش غافلا يأكل ويتمتع كما تأكل الأنعام لا يفكر فى مصيره ولا يدرى شيئا عن حقيقة نفسه وطبيعة دوره فى هذه الحياة حتى يوافيه الموت بغتة فيواجه مصيره المجهول دون استعداد له ويجنى ثمرة الغفلة والجهل والانحراف فى عمره الطويل أو القصير وحينئذ يندم حين لا ينفع الندم ويرجو الخلاص ولات حين مناص " (1)

لهذا كان لزاما على كل عاقل أن يبادر فيسأل نفسه بجد : لماذا خلقت ؟ وما غاية خلقى ؟

---

(1) (العبادة فى الإسلام/11) ..

أنا عبد لله .. لماذا؟!

لأنه :

1- حق الله عليك :

عن **معاذ بن جبل** رضي الله عنه قال : كنت رديف النبى ﷺ على حمار فقال لى : **يا معاذ ..** أتدرى ما حق الله على العباد ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . . قال : « **حق الله على العباد أن يعبدوه لا يشركوا به شيئا** » [1] .

اخوتى .. إننا لم نكن شيئًا مذكورًا ثم كنا ، . . خرجنا من ظلمة العدم إلى نور الوجود . . خُلقنا فى أحسن تقويم وصُورنا فى أحسن صورة . . وعُلمنا البيان وأُوتينا العقل والإرادة . . وسُخرت الكائنات والجمادات لخدمتنا . .

الأرض لنا فراش ومهاد ، والسماء لنا سقف وبناء ، والشمس تبثنا بالضوء والحرارة ، والبحار تجرى فيها سفائننا بأرزاقنا ، والماء ينزل من السماء ليكون لنا شراباً طهوراً ونسقى منه أنعامًا وأناسى كثيرًا . .

ترى من الذى فعل كل ذلك ؟

إجابات ربانية شافية

﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: 84-89]

وتتجلى الآية الكريمة التى تلخص دفاتر الوجود **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾** [الذاريات: 56]

وسبحان من همس فى أذنك " **إنى والإنس والجن فى نبأ عظيم .. أخلق ويعبد غيرى ! وأرزق ويُشكر سواى ! خيرى إلى العباد نازل وشرهم إلى صاعد ! أتحبب إليهم بنعمى وأنا الغنى عنهم فيتعرضون إلى بالمعاصى وهم أفقر شىء إلىَّ** " !! . .

أفهمت أم أشرح لك ؟!

---

(1) البخارى ومسلم .

2- دأب الصالحين :

كان حال الصالحين دوماً كتصريح أحدهم " دخلت على الله من أبواب الطاعات كلها ، فما دخلت من باب إلا رأيت عليه الزحام . فلم أتمكن . . حتى جئت باب الذل والافتقار **فإذا هو أقرب باب إليه وأوسعه ولا مزاحم ولا معوق**. فما هو إلا أن وضعت قدمى فى عتبته فإذا هو سبحانه قد أخذ بيدى وأدخلنى عليه " . .

هكذا كان حالهم وهذه كانت حياتهم . . يقرعون باب الذل . . ويتشرفون برفع أكفهم للضراعة والإنابة . . قتلوا فى أنفسهم الإنكار والجحود . . والكبر والجبروت . . وعلى الدنيا إذا ماتو السلام

لذا أقول لك

" كيف يَسلم من له زوجة لا ترحمه ، وولد لا يعذره ، وجار لا يأمنه ، وصاحب لا ينصحه ، وشريك لا ينصفه ، وعدو لا ينام عن معاداته ، ونفس أمارة بالسوء ، ودنيا متزينة وهوى مرد ، وشهوة غالبة له ، وغضب قاهر ، وشيطان مزين ، وضعف متسول عليه ، فإن تولاه الله وجذبه إليه انقهرت له هذه كلها ، وإن تخلى عنه ووكله إلى نفسه اجتمعت عليه فكانت الهلكة " [1] . .

فما حالك الآن ؟

ولهذا أخبروك " **من عرف الله أحبه ، ومن أحب الله أطاعه ، ومن أطاع الله أكرمه ، ومن أكرمه الله أسكنه فى جواره ،ومن أسكنه فى جواره فطوبى له . . طوبى له** "

ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له !!..

3- استجابة للنداء من فوق سبع سماوات

يقول الله تعالى " **يا أيها الناس إنى ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة ، ولا لأستكثر بكم من قلة ، ولا لأستعين بكم على دفع أمر عجزت عن دفعه و جلب منفعة ، ولا لدفع مضرة ، ولكنى خلقتكم لتعبدونى طويلاً ، وتذكرونى كثيراً وتسبحونى بكرة وأصيلاً** " [2] . .

لأن الواقع الذى نحياه يعبر أنه فساد فى الفطرة ، وظلمة فى القلب ، وكدر فى الأفهام ، ومحق فى العقول . . فصارت النفس مقام العقل ؛ والهوى مقام الرشد ؛

---

(1) الفوائد لابن القيم / 63 .
(2) رواه الخطيب فى العقيدة

والضـلال مقـام الهـدى؛ والمنكر مقـام المعروف؛ والجـهل مـقـام العلم؛ والرياء مقـام الإخلاص؛ والباطل مقام الحق؛ والكذب مقام الصدق؛ والظلم مقام العدل . . لذا ينتزع ربك أشواك ذلك الواقع ليضع أمامنا ما خلقنا له . .

ونكرر الإجابة حتى تدرك: « **لتعبدونى طويلاً وتذكرونى كثيراً وتسبحونى بكرة وأصيلاً** »

ويشرح أبو الدرداء لمن يثقل على كاهلهم العبادة وكأنها هم ثقيل وغم حاضر وعذاب واصب " لا تجعلوا عبادة الله بلاء عليكم ؛ لك : يوقت الرجل على نفسه العمل "[1] .

« أى » . . . أن لا يشدد العبد على نفسه فى كثرة العبادة فيفعلها بغير محبة وإقبال على الله عز وجل؛ كمن يعمل العمل الذى كُلف به فيشق عليه بضجر وتبرم "[2] .

ويزيد الأمر بياناً صاحب عدة الصابرين " لله تبارك وتعالى على عبده نوعان من الحقوق لا ينفك عنهما . . **أحدهما** : القيام بأمره ونهيه الذين هما محض حقه علينا . . **الثانى** : شكر نعمه التى أنعم بها علينا "[3] . .

وقبل أن تنفض يديك أن قد أديت ما علىَّ !..

فيوعيك الحبيب ﷺ « **لو أن رجلاً يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرمًا فى مرضاة الله لحقره يوم القيامة** »[4] .

ها .. أأدركت ما رأيت ؟!

4- اعتلاء قمة المجد

" إن الإنسان ليعتلى قمة المجد والشرف ، **إذا ما أصبح عبد لله** والعباد،يكونون فى أحسن أحوالهم ساعة تعنو جباههم لرب العزة فى السجود الخاضع الذليل عندئذ يعرفون وصفهم ويلزمون حدهم ويعطون الخالق الكبير حقه ، فينالون شرف العبودية . . **هذا هو الزاد** ، إنه الاتصال بالقوة العظمى حتى لا ينقطع بنا حبل الصبر ، فالطريق طويل والعبء ثقيل ، ولابد من الزاد الكثير والمدد الكبير "[5] .

وبصيغة أخرى أقول لكم :

ماذا يملك من أمره من ناصيته بيد الله ، ونفسه بيد الله ، وحياته بيد الله ، وموته بيد

---

(1) الزهد لابن المبارك / 566/2 .
(2) السابق .
(3) عدة الصابرين لابن القيم / 230 . (4) حسن . .
(5) خواطر الفجر للحاج محمد أبو السعود / 314 .

الله وسعادته، بيد الله وشقاوته بيد الله، وقلبه بين إصبعين من أصابع الله يقلبه كيف يشاء، وحركاته وسكناته وأقواله وأفعاله بمشيئة الله فلا يتحرك إلا بإذنه ولا يفعل إلا بمشيئته ؟!

فإن وكله إلى نفسه وكله إلى العجز والضياع والتفريط والذنب والخطيئة . . وإن وكله إلى غيره وكله إلى من لا يملك له ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً . . فهو لا غنى له عن الله طرفة عين ومع هذا يتخلف ويُعرض . . وقد صار لذكره نسياً واتخذه وراءه ظهرياً . .

هل تمتلك مفاتيح التوفيق ؟!

اعلم أن " التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلى بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خير فأصله التوفيق وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد الله أن يفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقى باب الخير مرتجًا دونه "(1) . .

وامتلكه يونس ﷺ فقد روي عن أنه قال يومًا لجبريل ﷺ : **دلني على أعبد أهل الأرض . .** . فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وشعره، قال : فدنا يونس منه فسمعه يقول : **إلهي قد متعتني بقوتي كما تشاء ثم سلبتني قوتي كما تشاء، وأبقيت لي فيك الأمل بالخير فلك الفضل عليّ** "(2)

5- أشرف شيء في الوجود

يقول أبو علي الدقاق " ليس شيء أشرف من العبودية، ولا اسم أتم للمؤمن من الاسم له بالعبودية، ولذلك قال سبحانه في وصف النبي ليلة المعراج وكان أشرف أوقاته في الدنيا ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا** ﴾ [الإسراء: 1] وقال تعالى ﴿ **فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ** ﴾ [النجم: 10] . . فلو كان اسم أجل من العبودية لسماه به " (3) . .

أسمعت ؟! لو كان عند الله خير من كلمة عبد لسمى حبيبه ﷺ بها وهو النبي ﷺ وأنت أما تشتاق أن تكون عبداً لله سبحانه وتتباهىٰ بها يوم القيامة ؟! . . وحينها تهنئ فائزًا غانمًا عندما يناديك ربك : **يا عبدي أدن مني** . .

ويا لها من كلمات رقيقة تروى في القلب زهرة حب الله والسعي لمرضاته . . أني كانت الظروف وكيفما كانت الأحوال . .

---

(1) الفوائد / 128 .
(2) تنبيه المغترين للشعراني/ 193 .
(3) الرسالة القشيرية للإمام القشيري/ 200 .

ففي الدنيا سترى من يتباهى بنسبه وجاهه وماله وشكله . .

ولكن بماذا سيتباهى هذا يوم القيامة ؟!..

بالله عليك قل لي .. بماذا يتباهى أمام رب الأرض والسموات ؟!..

6- وثيقة انضمام إلى عباد الرحمن ..

عندما ذكرت هذه الآية ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: 36] فقهها الحسن لأنه تخرج من مدرسة النبوة فجرى على لسانه تلك الكلمات " المؤمنون قوم ذلل، ذلت والله منهم الأسماع والأبصار والجوارح حتى حسبهم الجاهل مرضى ، والله ما بالقوم من مرض! ، وإنهم لأصحاء القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، وقالوا : الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن، والله ما أحزنهم ما أحزن الناس ، ولا تعاظم فى أنفسهم ما طلبوا به الجنة ،أبكاهم الخوف من النار، **ومن لم ير لله عليه نعمة إلا فى مطعم أو مشرب فقد قلَّ علمه وحضر عذابه** "[1].

أنا المشــغـــولُ بذنبى عن ذُنوب العـــالمينا
وخطايا أثقلتنـى وتَركــت قلبى حَـــزينا
وقــد كنتُ جليـــلاً فى عُـيـــون الناظــرينا
صِـرتُ فِى ظلمــةِ قَـبــرى ثاويًا فـيــه رهينا
بعــد عِـزٍ وسـرورٍ فَـوقَ وصفِ الواصـفـينا
فـأتى المــوتُ علينا بعــد هـــذا فَــفنينـا
وعُلمنَا فَــفَـــهــمنا مـــا لنـا الآن نسَــينـا
أن حـــيًـــا ليس يبْــقَى غَــيــرُ ربِ العـــالمينا

إخوانى : قلوبكم رحلت عن الأجسام . . فإلى متى أتحدث وليس فى الحى إلا الخيام ؟ . .

إخوانى: أما تنظرون إلى ما فعلت بكم الزلات والآثام ؟ . .

إخوانى: قيدكم التقصير وقد دنا الحمام[2] . . فأواه من هول يوم النشور ويوم ينفخ فى الصور ؟

(1) الزهد لابن المبارك / 249/1 . .
(2) الموت .

بالله يا إخواني: إلى متى تتأخرون وتتكاسلون وهذا المشيب أتى وقد تولى الشباب ؟

متى تصالح مولاك ؟ متى تقف بالباب ؟

أما اعتبرت بالراحلين من الأحباب والأتراب ؟

نقطة التحول

سُئل **الجنيد** عن عباد الرحمن من هم ؟ ! فقال " طاعة الله حلاوتهم، والفقر كرامتهم، وترك الدنيا لذتهم، وإلى الله حاجتهم، والتقوى زادهم، ومع الله تجارتهم، وعليه اعتمادهم وبه أنسهم، وعليه توكلهم، والجوع طعامهم، وحُسن الخلق لباسهم، والسخاء حرفتهم، والعلم قائدهم، والصبر سائقهم، والهدى مركبهم، والقرآن حديثهم، والشكر زينتهم، والذكر همتهم، والرضا راحتهم، والقناعة مالهم، والعبادة كسبهم، والحياء قميصهم، والخوف سجيتهم، والنهار عبرتهم، والليل فكرتهم، والحكمة سيفهم، والحق حارسهم، والحياة مرحلتهم، والموت منزلتهم، والنظر إلى الله منيتهم، **فهؤلاء هم عباد الرحمن** "(1)

أطل على ما قرأت، وأحضر ورقه وقلم وأعد كتابه الأوصاف مرة أخرى بخط يدك . . عسى أن يرسخ المعنى وتقطف الثمرة .

لو يعلم الناس

ولحب الله إيانا رزقنا عقولاً تفقه وقلوبًا تنبض . . ولهذا كانت عبوديتنا له من قبيل حبه لا من قبيل سطوته، وكان حبه واشتياقه لكل عبد يريد أن يُرى صادق العبودية مخلص النية فاسمع بآذان قلبك . .

" أوحى الله تعالى إلى **داود** ﷺ: « يا داود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ؟ ورفقى بهم ؟ وشوقى إلى ترك معاصيهم ؟ لماتوا شوقًا إليَّ وتقطعت أوصالهم من محبتى . .

يا **داود** هذا إرادتى فى المدبرين عنى فكيف إرادتى بالمقبلين على ؟! " (2)

فوا عجبًا لمن يأمن وكم أُخذ آمن من مأمن . . لأن من تفكر فى الذنوب علم أن لذات الأوزار إلى زوال . . والمعاصى بالعاصى آلت إلى النار . . .

قائد الغفلة الأمل

والهوى قائد الزلل

---

(1) طهارة القلوب الديرينى / 222 . (2) التبصرة لابن الجوزى 28/1 .

فـــاغـــتنم يا أخـــانا شـــبـــابك
واســـتـــأنف العـــمـــل
فـــعـــلام الوقـــوف عـــاجـــزًا
ورضـــاك بـــالـكـــســـل

ومن شدة العبودية والإقبال تدفقت دموع أبو عبد الله البلخي مناديًا " عبيد الدنيا يريدون من ساداتهم أن يرضوا عنهم ، وعبد الله تعالى يريد منه أن يرضى عنه "[1]

7- تقدير الله حق قدره

فقدره عظيم ، ووجهه كريم ، وفضله واسع ، وجوده شامل ،

ولكن العباد ما قدروا الله حق قدره ..

خلق الخلق ، وتكفل بالرزق ، وحفظ النفوس ، واطلع على السرائر ، وعلم النيات ،

ولكن الناس ما قدروا الله حق قدره . .

الأرض جميعًا قبضته ، والسماوات مطويات بيمينه والكون كله فى ملكه ، والخليقة فقيرة إليه ،

ولكنهم ما قدروا الله حق قدره . .

بارزوه بالمعاصى ، وأغضبوه بالذنوب ، قابلوه بالسيئات ، وأتوه بالخطايا ،

لأنهم ما قدروا الله حق قدره .

هجروا المساجد . . . تركوا المصاحف . . عطلوا الشريعة ،

لأنهم ما قدروا الله حق قدره !!

حـــق قـــدره ....

. . إن من تقدير الله حق قدره طاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، والشكر على ما يسر ، والحمد له على أنه ستر وغفر ، مع متابعه رسوله ، والعمل بكتابه والقيام بطاعته ، وهجر معاصيه ، والرضا به ربًا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً "[2] .

---

(1) تنبيه المغترين/ 194

(2) على بوابة الوحى / 180 بتصرف .

حق قدره إن يطاع فلا يعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويُحب حبًا يملك العبد كل حركة فيه

8- تصحيح الوجهة..

" إن الإسلام ليس أفعالاً تُعد على الأصابع دون زيادة أو نقص، كلا إنه . صلاحية الإنسان للمسير فى الحياة وهو يؤدى رسالة محددة فالمهندس الذى يصنع آله ما، لا يعنيه كم تنتج من السلع ؟ وإنما يعنيه أن تكون أجهزتها مستعدة على الدوام لإنجاز ما تكلف به . . فصلاحية الطيارة للانطلاق ، وصلاحية المدفع للقذف ، وصلاحية القلم للكتابة ، هذه الصلاحيات هى مناط الحكم على قيمة الشيء، فإذا اطمأننا إلى وجودها قبلناها ورجونا ثمرتها . . كذلك الإنسان . .

إن الإسلام يريد أن تستقيم أجهزته النفسية أولاً ، فإذا توفرت لها صلاحيتها المنشودة بصدق اليقين وسلامة الوجهة ، فكل عمل تتعرض له فى الحياة يتحول من تلقاء نفسه إلى طاعة الله، إن آله سك النقود يدخلها المعدن الغفل - الخام- فيخرج منها عملة مالية غالية الثمن تحمل من الألوان والأختام والشارات ما يجعلها شيئًا آخر ، كذلك المسلم يعالج ما يعالج من شئون الدنيا فيُضفى عليه من طبيعة إيمانه وسناء وجهته ما يجعل أى عمل يُقبل عليه يتحول فى يده إلى عبادة غالية القدر . . وليس للأعمال الصالحة قدر تنتهى عنده ، ولا رسم تخرج فيه . . **إنما هو إسلام الوجه لله، وإصلاح العمل ، والبلوغ به حد الكمال المطلوب** "[1]

ولكى نحوز البشرى ..

أوحى الله إلى **داود** " يا داود أبلغ أهل الأرض أنى حبيب لمن أحبنى، وجليس لمن جالسنى ، ومؤنس لمن ذكرنى، وصاحب لمن صاحبنى، ومُختار لمن اختارنى، ومُطيع لمن أطاعنى ، ما أحبنى عبد اعلم ذلك يقينًا من قلبه إلا قبلته لنفسى . . من طلبنى بالحق وجدنى، ومن طلب غيرى لم يجدنى، فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها، وهلموا إلى كرامتى ومصاحبتى ومجالستى، وأنسوا بى أؤنسكم، وأسارع إلى محبتكم "[2]

---

(1) هذا ديننا للغزالى / 84 .
(2) طهارة القلوب / 295 .

9- أداء شكر النعم

" الرب تبارك اسمه وتعالى جده هو المنعم بصنوف النعم التى لا يحصيها أهل سماواته وأرضه . .

فإيجادهم **نعمة منه** . .

وجعلهم أحياء ناطقين **نعمة منه** . .

وإعطاؤهم الأسماع والأبصار والعقول **نعمة منه** . .

وإدرار الأرزاق عليهم **نعمة منه** . .

وتعريفهم نفسه بأسمائه وصفاته وأفعاله **نعمة منه** . .

وإجراء ذكره على ألسنتهم ومحبته ومعرفته على قلوبهم **نعمة منه** . .

وحفظهم بعد إيجادهم **نعمة منه** . .

وقيامه بمصالحهم دقيقها وجليلها **نعمة منه** . .

وهدايتهم إلى أسباب مصالحهم ومعايشهم **نعمة منه** . . " (1).

وجلب المدد الربانى

" قد يدخل مريض الرعاية المركزة وهو بين الحياة والموت . فلا يستطيع الحركة والنطق ، . . لديه نقص شديد فى الدم ، وعدم القدرة على التنفس ، وضعف فى القلب ، وفور دخوله هذه الغرفة يتم إمداده بالأنابيب والتوصيلات ، واحدة تضخ الدم وثانية للتنفس وثالثة للقلب ورابعة للتغذية . . ومع مرور الوقت يبدأ فى التحسن . . ولله المثل الأعلى فحالنا مع الله عز وجل وحاجتنا إلى إمداداته المتوالية علينا أشد من حاجة هذا المريض لهذه الإمدادات ، ونحن بدون الله عز وجل لا قيمة لأى خلية من خلايانا ، ولا عضو من أعضائنا ، ولا جهاز من أجهزتنا . . ﴿ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ** ﴾(2) .

10- نيل مراتب الرضا

كان رجل أعرابى من بنى عبس ذا أهل ومال ومنزل فسيح وثروة كبيرة . . وذات يوم

---

(1) شفاء العليل لابن القيم .

(2) حطم صنمك لمجدى الهلالى بتصرف / 81-82 .

خرج يلتمس إبلاً ضالة ، فلما عاد إلى بيته لم يجد بيته أو أهله أو ولده أو ماله أو ركابه . . ذلك أن سيلاً جرف الجميع ، وانزووا تحت الحطام والرمال فاجتسبهم الرجل عند الله وإذ بجمل ممن عاد بهم يجرى ويفر فيتبعه مهرولاً وراءه فرفسه الجمل فى وجهه فذهبت عيناه ! ! . . وجىء به إلى **الوليد بن عبد الملك** . . فقال له : كيف أنت الآن ؟ قال الرجل : بلسان الراضى الشاكر الحامد .

..راض عـن الله..

صنعته العبادة هذه الصناعة .. وألبسته العبادة حُلل الرضا ..

رددها مراراً . . واستشعرها كثيراً . . واكتبها فى ورقه وعاودها مرات بعد مرات

..راض عـن الله..

مالك لا ترضى ؟!

يا قليل البضاعة : **مالك لا ترضى** وقد وهبك الله عينين ولسانا وشفتين ويدين ورجلين ؟! . .

لم لا ترضى فإن كنت فقيراً فغيرك حبسه الدين ؟! . . وإن كنت خسرت فهناك من لا يملك رغيف خبزه ؟! . . وإن كان عندك قوت يومك فغيرك يتسول ثمن دوائه ؟! . . وإن كنت تشكو العلة والمرض فغيرك طريح الفراش منذ أعوام ؟! . .

فمالك لا ترضى ؟! لذا كان من مناجاة أحد العابدين " يئست من نفع نفسى لنفسى فكيف لا أيأس من نفع غيرى لها ، ورجوت الله لغيرى فكيف لا أرجوه لنفسى "

وللحدث بقية: وإن كنت لا ترضى فهل السخط سيجمع ما انكسر ؟! أو يرد ما اندثر ؟! فالرضا باب اليقين الأكبر وبستان العبودية الأخضر ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [المائدة: 119]

فالرضا مطردة للهموم والغموم ومذهبة للأحزان . . وعلاج للتردد والحيرة ، فمن دخل بيت الرضا فهو آمن ، ومن استقبل كعبته فهو مخبت ، ومن صلى فى محرابه فهو عبد حليم آواه منيب . . ذلك أن العبد الراضى عن الله ، لا يحب الحزن العيش فى ردائه ؛ ولا يحبذ الهم السكن فى داره ؛ ولا يستريح الغم للسير فى ركابه . .

حكاية أمير المؤمنين

وارتشف من هذه الجرعة أمير المؤمنين **عمر بن الخطاب** فكان إذا أصابته مصيبة قال : إنى لأحمد الله على كل مصيبة أربع مرات . .

الأولى : لأنه لم يجعلها أكبر من ذلك ولو شاء فعل . .

الثانية : أن لم يجعلها فى دينى وكل ما سواه هين . .

الثالثة : أن رزقنى الصبر عليها والصبر ثوابه الجنة . .

الرابعة : أن وفقنى للاسترجاع والتوبة ولا يخفى على مؤمن أجر ذلك من رحمة الله وصلواته وهدايته "[1] . .

وانهل من كأس الإيمان اللذيذ حيث دلك صاحب المائدة قائلاً ﷺ " **ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً** "[2]



(1) تنبيه الغافلين / 183

(2) صحيح .



وقبل السلام

وبعد أما تستحى ؟!

يجرى الاحمرار على وجهك ابن القيم مصارحًا :

" شكرك لا يساوى قدر قوتك ، ولا بارك الله فى دابة لا تعمل بعلفها ، متى رأيت العقل يؤثر الفانى على الباقى فاعلم أنه قد مُسخ .

ومتى رأيت القلب تَرَحَل عنه حب الله والاستعداد للقائه وحل بدلاً من ذلك الرضا بالحياة الدنيا والاطمئنان إليها فاعلم أنه قد خسف به .

ومتى رأيت العين قد قحطت فاعلم أن قحطها من قسوة القلب وأبعد القلوب من الله القلب القاسى .

ومتى رأيت نفسك تهرب من الأنس بالله إلى الأنس بالخلوة ومن الخلوة مع الله إلى الخلوة مع الأغيار .

فاعلم أنك لا تصلح له .

متى رأيته يستزيد غيرك وأنت لا تطلب ، ويستدنى سواك وأنت لا تقرب .

فاعلم أنه الحجاب والعذاب ..

همسة :

وقع رجل فى معصية فناجى ربه قائلاً " إلهى : **أنت قضيت ؛ أنت قدرت ؛ أنت حكمت** ، فسمع صوتاً يقول له : هذا حق الربوبية فأين أدب العبودية ؟ فقال : **إلهى أنا عصيت ؛ أنا أسرفت ؛ أنا ظلمت . . فسمع كأن الله يقول له : وأنا غفرت ؛ وأنا عفوت ؛ وأنا رحمت** " . .



الزيارة الرابعة

تأملات وبراهين



ما أكثر الألسنة المتحركة باسم الله وأقل جدواها .. وما أندر الأفئدة الخاشعة لعبودية ربها وأحوج العالم إليها .. إن فساد الحياة يجيء من تحولها إلى ألفاظ ومظاهر ولن تحرز العبودية دورها إلا يوم تنشيء الضمائر الحية والسرائر الطاهرة التي ترمق المنازل في أعلى الفردوس ..

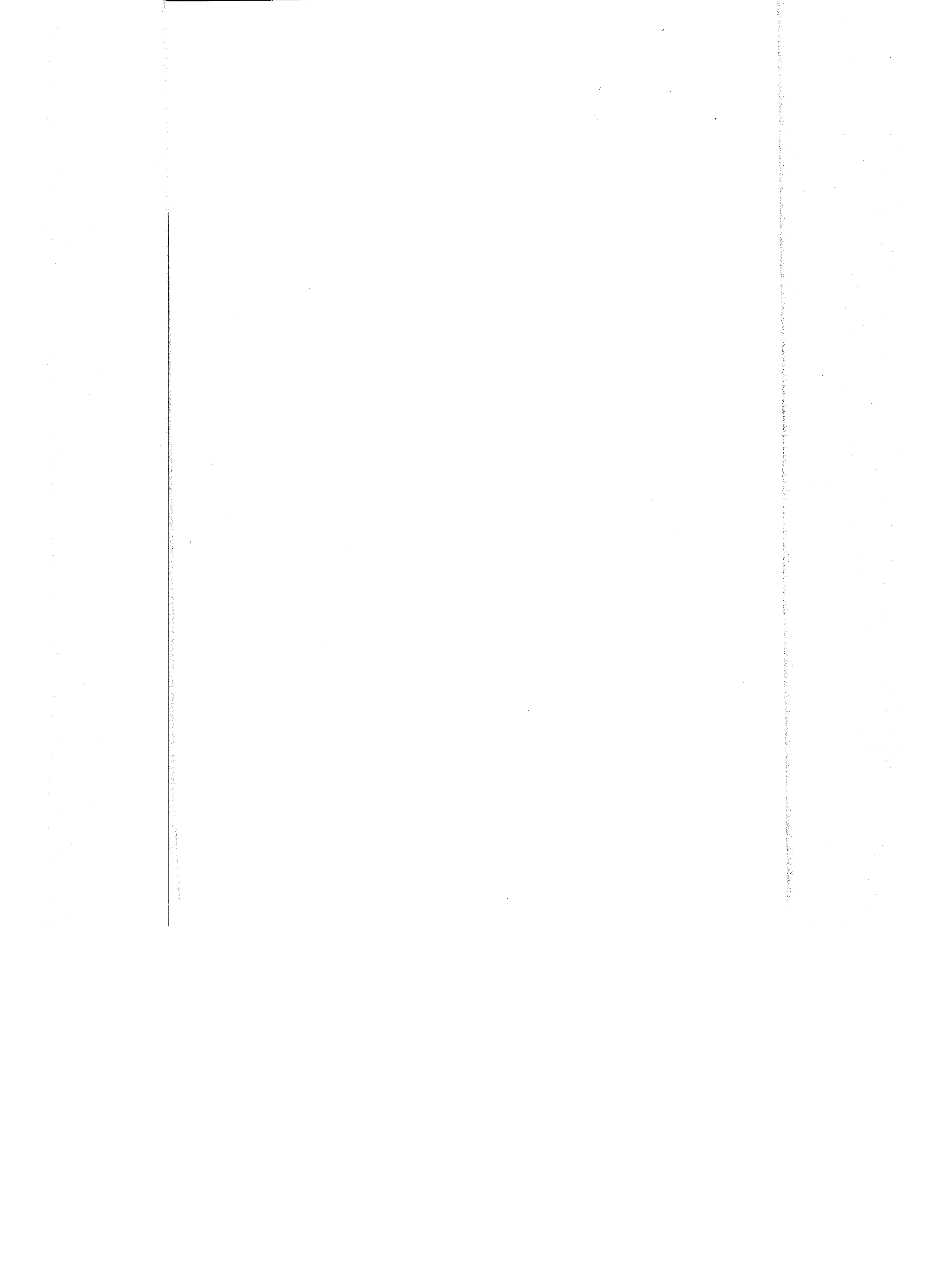
يا هذا ...

ما أعظم المصيبة على من فقد قلبا واعيا !

وما أسرع العقوبة على من عدم طرفا باكيا !

وما أكثر حسرة من كان في أمره ساهيا !

وما أدوم ندامة من أمسى وأصبح لاهيا !



فاتحة الكتاب

مشاعر قلب

حين تنساب الآيات ويلهج اللسان . . (**الحمد لله**) . . يُخرج معها القلب آهات الشكر والثناء، فينفض عن كاهله زحمة الانشغالات ويتحرر من المسئوليات ، فتتابع وتتوالى الرحمات . .

ثم يردد (**الرحمن الرحيم**) فيتدفق إلى النفس الاعتذار عما جنت . . وتقول رحمتك يا رب . . رضاك يا رب . . سامح واغفر وتجاوز عما تعلم . .

ثم ينفض يده من كل المتعلقات استعدادًا لقوله (**مالك يوم الدين**) فيستشعر القلب التقصير ويتدارك الغفلة . .

ثم يأتى الاعتراف الجميل(**إياك نعبد وإياك نستعين**) كافة التسليم وغاية التعظيم .

وتنهمر آيات السورة تلو بعضها وكأنها ينبوع يضفى على العقل والقلب والروح الطمأنينة ومعايشة حب الله من خلال حمده والثناء عليه ثم ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: 5] هذه الآية الثقيلة والرقيقة فى نفس الوقت . . والتى يُنور فؤادك فيها **ابن القيم** " اجتمعت الكتب السماوية كلها فى القرآن وتجمعت معانى القرآن فى الفاتحة، وتجمع كل ذلك فى (**إياك نعبد وإياك نستعين**)[1] . .

واسمع يا من تسمع قد أوحى الله تعالى إلى **داود** عليه السلام : يا داود إن أسلمت لى ما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تُسلم لى ما أريد. أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد "[2]

ثم الدعاء بثمرة الهداية وهى الاستقامة التى تكشف عن نقابها بنعيم الجنة ، ومن قبل إرضاء الله الواحد القهار سبحانه . . (**اهدنا الصراط المستقيم**) . . يا رب ارزقنى هداية من عندك تهدى بها قلبى، وتشرح بها صدرى، وتصلح بها نفسى ، وتُحسن بها خلقى على صراطك تثبتنى . .

---

(1) المدارج لابن القيم 65/1 .

(2) تنبيه المغترين / 192 .

إياك نعبد وإياك نستعين ..

لماذا قَدَّم العبادة على الاستعانة ؟! **فالاستعانة** : هى الثقة بالله والاعتماد عليه . . وسبب التقديم " أن العبادة غاية العباد التى خلقوا لها والاستعانة وسيلة لها ، لأن العبادة تتضمن الاستعانة . . فكل عابد لله عبودية تامة مستعين به ، لأن صاحب الأغراض والشهوات قد يستعين به على شهواته ، فكانت العبادة أكمل وأتم . **العبادة** شكر نعمته عليك والله يحب أن يُشكر ، والإعانة فعله بك وتوفيقه لك ، فإذا التزمت عبوديته ودخلت تحت رقها ، أعانك عليها فكان التزامها والدخول تحت رقها سببًا لنيل الإعانة ، وكلما كان العبدُ أتم عبودية ، كانت الإعانة من الله له أعظم "[1]

وأُعيدها عليك **«كلما كان العبد أتم عبودية ، كانت الإعانة من الله له أعظم »** .

اعتراف .. أنا عبد الله

وهو ما دعا حجة الإسلام ليقف جانبك ويرشدك بقولك ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ [الفاتحة: 5] . . فيقول ، فإنه إذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صادقًا ، ولو طُولب يوم القيامة بالصدق فى قوله . . **أنا عبد الله** . . لعجز عن تحقيقه فإنه إن كان عبدًا لنفسه أو دنياه أو عبدًا لشهوته . . لم يكن صادقًا فى قوله ، وكل ما تقيد العبد به فهو عَبدٌ له ، كما قال **عيسى** عليه السلام : يا عبيد الدنيا ! وقال ﷺ " **تعس عبد الدنيا** ، **تعس عبد الدرهم** ، **وعبد الحلة وعبد الخميصة** "[2] . . فكل من تقيد قلبه بشىء فهو عبدٌ له "[3]



---

(1) المدارج بتصرف 1/78-79 .

(2) البخارى

(3) الإحياء - ابو حامد الغزالى 38/5

2

مالك الملك

يقول تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مالكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ من تشاءُ وتنزعُ الْمُلْكَ ممَّن تشاءُ وتُعِزُّ من تشاءُ وتُذِلُّ من تشاءُ بيدكَ الْخَيْرُ إنَّكَ علَىٰ كُلِّ شيْءٍ قديرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ وتُولِجُ النَّهارَ في اللَّيْلِ وتُخْرِجُ الْحَيَّ من الْمَيِّتِ وتُخْرِجُ الْمَيِّتَ من الْحَيِّ وترْزُقُ من تشاءُ بغيْرِ حسابٍ﴾

[آل عمران: 26-27]

نداء خاشع

فى تركيبته إيقاع للدعاء . . وفى ظلاله المعنوية روح الابتهال . . استجاشةَ لمشاعر العباد فى رفق وإيناس من ربهم أن الملك بيد من ؟! الله . . وشيئًا فشيئًا يتضح لك يد الله المحركة لهذا السكون وهذه الحياة . . فَتَقلب فى قلبك مواضع الكبر المهلك والكبر المظلم، لتستنير بضياء التذلل له والخضوع لعظمته ، وكأنك تتنفس الصبح فى غاية الظلام . . إنها لمسة حانية من القرآن ، وعاشها **شهيد القرآن** فقال " توحى إليه أن الله ربه قد خلق الكون كله ليكون له صديقًا ومساعدًا متعاونًا ، وأن سبيله إلى كسب هذه الصداقة أن يتأمل فيها ويتعرف عليها ويتعاون وإياها ويتجه معها إلى الله ربه وربها "(1)

الأيام دول

ويطلق **ابن القيم** صافرة الإنذار " يُقلب الدول فيذهب بدولة ويأتى بأخرى ، والرسل من الملائكة بين صاعد إليه بالأمر ونازل من عنده به ، وأوامره متعاقبة على تعاقب الآيات نافذة بحسب إرادته ، فما شاء كان كما يشاء ، فى الوقت الذى يشاء ، على الوجه الذى يشاء ، من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تقدم ولا تأخر ، وأمره وسلطانه نافذ فى السماوات وأقطارها ، وفى الأرض وما عليها ، وفى البحار وفى الجو ، وفى سائر أجزاء العالم وذراته ، يقلبها ويُصَرِّفها ويُحدث ما يشاء "(2)

استنباط منظور

حين ينقاد القلب خاشعًا والفكر مستنيرًا واللسان مرددًا « **قل اللهم مالك الملك** » . . مالك الملك لا أحد غيرك ولا مسيطر سواك ، . . أنت وحدك يا رب تؤتى الملك من تشاء

---

(1) فى ظلال القرآن - سيد قطب 25/1 .

(2) الوابل الصيب - ابن القيم / 126 . .

وتوسع على من تشاء . . ، وترزق من تشاء ، وتهب من تشاء . .

..سبحانك ..سبحانك ..

تنزع الملك ممن تشاء . . تُفقر بعد غنى . . تخفض بعد رفعة . . تَذل بعد عزة . . تُضعف بعد قوة ترفع قدر من تشاء . . وتُسَطر التوفيق لمن تشاء . . وتضع القبول لمَن تشاء . . وتُذل من تشاء . . وتمنع من تشاء . . بيدك الخير . . إنك على كل شيء قدير . . القدرة الكاملة والعظمة المطلقة .

ثم تُختم المعاني بغاية الرضا والتسليم فيحس الإنسان وكأنه واقف على ساحل الدنيا يبحث عمن يناديه ويُفسح له الطريق . .

فاللهم أكرمنا ولا تهنا .. أعزنا ولا تذلنا .. ارفعنا ولا تضعنا ..

آثرنا ولا تؤثر علينا .. أعطنا ولا تحرمنا

المعادلة واضحة

يشرحها ابن الجوزى "

من لم يعتز بطاعة الله لم يزل ذليلاً . .

ومن لم يستشف بكتاب الله لم يزل عليلا . .

ومن لم يستغن بالافتقار إلى الله فهو طول الدهر فقيراً . .

ومن لم يتحقق بالعبودية لله فهو لكل شيء عبد ،

ومن لم يتترس (يلتزم) بترس التوكل على الله ، أصابه كل رام .

ومن لم يحتم بحماية الله لم يحمه سواه "(1)



(1)التذكرة فى الوعظ- 26-27

3

كن فيكون

يقول تعالى : ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: 82]

الدليل واضح

" سبحانه كل شيء هالك إلا وجهه ، وكل ملك زائل إلا ملكه ، وكل فضل منقطع إلا فضله ، لا يطاع إلا بإذنه ، ورحمته ، ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته ، يُطاع فيشكر ، ويُعصى فيتجاوز ويغفر ، كل نقمة منه عدل ، وكل نعمة منه فضل ، أقرب شهيد ، وأدنى حفيظ ، حال دون النفوس ، وأخذ بالنواصي ، وسجل الآثار ، وكتب الآجال . . أحق من ذُكر ، وأحق من عُبد وأحق من حُمد وأحق وأولى من شُكر ، وأنصر من ابتغى ، وأرأف من ملك ، وأجود من سُئل ، وأعفى من قدر ، وأكرم من قُصد ، وأعدل من انتقم ، حلمه بعد علمه ، وعفوه بعد قدرته ، ومغفرته عن عزته ، ومنعه عن حكمته ، وموالاته عن إحسانه ورحمته "(1) .

إنها القدرة الفائقة ونطاق المشيئة التي لا تقف لها قوة ولا يقوم في طريقها عائق وقبل أن يُسدل الستار وينتهي المشهد فاسمع الحبيب ﷺ وهو يدعوا " **اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجأة نقمتك ،وجميع سخطك** "(2)



---

(1) الوابل الصيب / 129 .
(2) صحيح . .

4

الاستفهامات الربانية..

﴿ والضُّحىٰ (١) واللَّيْلِ إذا سجىٰ (٢) ما ودَّعك ربُّك وما قلىٰ (٣) وللآخرةُ خيرٌ لك من الأُولىٰ (٤) ولسوف يُعْطيك ربُّك فترْضىٰ (٥) ألمْ يجدْك يتيمًا فآوىٰ (٦) ووجدك ضالاً فهدىٰ (٧) ووجدك عائلاً فأغنىٰ (٨) فأمَّا الْيتيم فلا تقْهرْ (٩) وأمَّا السَّائل فلا تنْهرْ (١٠) وأمَّا بنعْمة ربِّك فحدِّثْ (١١)﴾

رسائل سورة الضحى

سورة تتلمس جوانب القلب وكأنها فى حوار معك، تعترف بتقصيرك وفقرك إلى الخالق . . تتذلل بها إلى العزيز ليعطيك من عزه . . ولعل هذه الاستفهامات الربانية تُهيىء لقلبك الطريق كى تتفهمها وتعقلها " **ولسوف يعطيك ربك فترضى** " . .

أليس كذلك ؟! . .

أجب بنفسك وأعطها الفرصة كى ترسم الإجابات . .

(ألم يجدك يتيما فأوى) ؟ . .

ووجدك ضالاً فهدى ؟ . .

من الذى هداك . .

من الذى أكرمك وجعلك مسلما . .

(ووجدك عائلاً فأغنى) . .

ألم يغنك الله بفضله ؟ ألم ييسر لك قوت عيشك ؟ أليس هو الذى يوسع رزقك مع تقصيرك فى حقه ؟ ومع هذا لم يغلق باب كرمه أو يسد زوائد رحمته . . بل ولك منه وصيه . . **(فأما اليتيم فى تقهر ، وأما السائل فلا تنهر)** .

تحدث ولا حرج

وكأن الله يقول لك : " تحدث عن جميلنا ، أخبر الناس بأيادينا، أعلن نعمنا عليك، فالجحود خطيئة، والتنكر سيئة، وكتمان المعروف لؤم . . فالله يلوم الحاسدين من عباده

ويقول " **يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها** " . .

فهم يعلمون أنه مانح النعمة ولكنهم يتنكرون للجميل ، وينسون المعروف . .

وورد في الأثر " إن القلوب جُبلت أن تُحب من أحَسن إليها "

فرصَّ معاذ الرازى حروف القاعدة .

يا عجبًا ممن لا يرى محسنًا إلا الله، كيف لا يميل إليه بالكليه ..

فأجمل الحبيب ﷺ : القول " **إذا أتاك الله مالاً فلير عليك ،فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسناً ، ولا يحب البؤس ولا التباؤس** "(1)

وفسر الحسن قوله تعالى ﴿ **إنَّ الإنسانَ لربِّه لكَنُودٌ** ﴾ [العاديات: 6] قائلا " أي يَعُد المصائب وينسى النعم " . .

وبنفس الفهم العميق والفكر المتصل ناشدك السلف " **ويحك يا بن آدم ، والله لو كساك رجل ثوباً لرأيت إحسانه وعرفت جميله ، فكيف بمن كل نعمه وصلتك فمن عنده ،وكل خير لديك فمن لدنه** "(2) . .

فسبحان من أعطى الجزيل، ووهب الجليل ورضي بالقليل،



---

(1) صحيح . .

(2) تفسير بن كثير

5

إقرار وشهادة واعتراف

دعاء صباح مساء

كان من دعاء الحبيب ﷺ صباحاً ومساءً " **اللهم ما أصبح (أمسى) بى من نعمة، أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر** " . . .

إقرار وشهادة واعتراف بأن كل النعم محض فضل من الله الواحد الأحد .

ذاقوا طعم ذلهم فأعزهم .

أحسوا بفقرهم فأغناهم . .

أبصروا بضعفهم فقواهم . .

سجدوا لله شكرًا فرفعها بالرضا عنهم .

الخير من الله كثير .. كثير

ويجول الفكر مع **عون بن عبد الله بن عتبه** " الخير من الله كثير ، ولكن لا يُبصره من الناس إلا اليسير وهو للناس من الله معروض ، ولكن لا يُبصره من الناس من لا ينظر إليه، ولا يجده من لا يبتغيه، ولا يستوجبه من لا يعلم به . . ألم تروا إلى كثرة نجوم السماء فإنه لا يهتدى بها إلا العلماء "[1] . . وكانت وصيه المصطفى ﷺ لابنته **فاطمة** " **ما يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به أن تقولى إذا أصبحت وأمسيت : يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لى شأنى كله ،ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين** "[2] .

لا تحزن .. لا تحزن ..

" نعم تغمرك من فوقك ومن تحت قدميك . . صحة فى بدن، أمن فى وطن، غذاء وكساء، وهواء وماء . . لديك الدنيا وأنت ما تشعر، تملك الحياة وأنت لا تعلم . . عندك عينان ولسان وشفتان ويدان ورجلان ، وهل هى مسألة سهلة أن تمشى على قدميك وقد بُترت أو شُلت أقدام ؟! وأن تعتمد على ساقيك وقد قُطعت ومَرضت سوق ؟! أحقير أن تنام ملء عينيك وقد أطار الألم والهم نوم الكثير ؟! وأن تملأ معدتك من الطعام الشهى وأن تكرع من الماء البارد وهناك من عكر عليه الطعام ونغص عليه الشراب بأمراض وأسقام ؟! "[3] . .

(1) مع العارفين -سعيد رمضان / 89. (2) صحيح . (3) لا تحـزن-عائض القرنى / 34

مزيداً من الخطاب

تفكر فى سمعك وقد عُوفيت من الصمم ؟!

تأمل فى نظرك وقد سلمت من العمى؟!

والمح عقلك وصلاحه للتفكير ؟!

أتريد فى بصرك وحده كجبل أحد ذهبًا ؟!

أتحب بيع سمعك بوزن أطنان فضة ؟!

هل تشترى قصور الدنيا بلسانك فتكون أبكم ؟!

هل تعطينى يدك مقابل عقود من اللؤلؤ والياقوت ؟!

إنك فى نعم عميمه وأفضال جسيمة ولكنك لا تدرى . .

فكر فى نفسك وأهلك وبيتك وعافيتك وأصدقائك ﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: 113] . .

رجاء يحيى أحيا

استشعر هذه المعانى **يحيى بن معاذ** فرفع أكف الضراعة وانشرح لسان قلبه هاتفًا " إلهى يكاد رجائى لك مع الذنوب يغلب رجائى لك مع الأعمال،

لأنى أجدنى أعتمد فى الأعمال على الإخلاص وكيف أصفيها وأحررها من الرياء،

وأنا بالآفات معروف، وأجدنى بالذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف ؟

أحلى العطايا فى قلبى رجاؤك،

وأعذب الكلام على لسانى ثناؤك،

وأحب الساعات إلىَّ ساعة يكون فيها لقاؤك ..





حديث مرعب

حذر الحبيب ﷺ " **شرار أمتي الذين غُذوا بالنعيم ، الذين يأكلون ألوان الطعام ، ويلبسون ألوان الثياب ، ويتشدقون في الكلام** "[1] حسن

شرار أمتي . . من وُلدوا أغنياء . . فألهاهم المال والتكاثر عن ذكر الرب وعبادته

شرار أمتي . . من لا اعتناء لهم إلا بأحدث صيحات الموضة والجديد في عالم الأزياء . .

شرار أمتي . . من بالسيارات ليلاً يمرحون ، ولاصطياد الفتيات الساقطات يسعون . .

شرار أمتي . . من نسوا ربهم وتاهوا عن حبيبهم ﷺ وولوا كتاب الله ظهورهم . .

شرار أمتي . . من على الانترنت مقيمين . . وعلى الشات الفاجر مداومين . . وبالمواقع الإباحية فرحين . .

شرار أمتي . . من يمشون في الأرض مرحًا . . وإذا خاطبهم المساكين رفعوا رقابهم مترفعين عن رد حتى السلام . .

إلهي فلا تهتك ذنوبًا سترتها
فأنت رءوف بالعباد رحيم

إلهي ولا تحرق بنار جهنم
نفوسًا رجت عفوًا وأنت كريم

إلهي وأدخلنا مع الزمرة التي
مثوبتها يوم الجزاء عظيم

همسة :

يقول ابن الجوزي " المذنب يأوي إلى الذل كما يأوي الطفل إلى الأبوين ، بكى آدم على تفريطه حتى جرت الأودية من دموعه ، وكان كلما ذكر الجنة قلق "

(1) صحيح .
(2) المواعظ -ابن الجوزي/ 78



❊ يا من يسير بعمره وقد تعدى الحدود؛ ابك علي مصيبتك فلعلك مطرود؛ يا من عمره ينتهب وليس الماضي يعود؛ قد أسمعتك المواعظ من إرشادها نصحًا؛ وناداك لسان الاعتبار:

﴿يا أيُّها الإنسانُ إنَّكَ كادحٌ إلَىٰ ربِّكَ كدْحًا فمُلاقيه﴾ [الإنشقاق: 6]. .

❊ قال رجل **لذي النون المصري** وهو يعظ الناس: يا شيخ ما الذي أصنع؟ كلما وقفت علي باب من أبواب المولي صرفني عنه قاطع المحن والبلوى. .

قال له: يا أخي **كن علي باب مولاك كالصبي الصغير مع أمه**. . كلما ضربته أمه ترامى عليها. . وكلما طردته تقرب إليها. . فلا يزال كذلك حتى تضمه إليها. .

❊ يا أبناء الدنيا إنها مذمومة في كل شريعة؛ حيلتك في تحصيلها أدق من الشعر؛ وأنت في تدبيرها أصنع من النحل؛ وعين حرصك عليها أبصر من العقاب؛ وبطن أملك أعطش من الرمل؛ وفم شرهك أشرب من الهيم.

﴿ وَغَرَّكُم باللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [الحديد: 14]

❊ قيل لأحدهم: لم تخليت عن الدنيا؟ فقال: خوفًا والله من الآخرة أن تتخلى عني. .

❊ كان **الشبلى** يقول في مناجاته: «ليت شعري ما اسمي عندك يا علام الغيوب؟ وما أنت صانع في ذنوبي يا غفار الذنوب؟ وبمَ تختم عملي يا مقلب القلوب؟»

وكان يصيح في جوف الليل: قرة عيني وسرور قلبي ما الذي أسقطني من عينك؟

❊ يا من كان قريبًا فَطُرد؛ يا من كان مشاهدًا فَحُجب؛ يا عزيزي ما ألفت الشقاء؛ فكيف تصبر؟

أصعب الفقر ما كان بعد الغني ؛ وأوحش الذل ما كان بعد العز .

ويحك اعرف ما ضاع منك.

* الطفل لا يصبر عن الرضاع ساعة ، فإذا صار رجلاً صبر عن الطعام يومين ؛ إنما تقع الكلفة بقدر الطاقة ؛ فأول مقامك «**يحب التوابين**» وفي أوسط «**بعيني ما يتحملون من أجلي**» وفي المقام الأعلى **كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني**» . .

* جاء رجل إلي **أبى علي الدقاق** فقال : قد قطعت إليك مسافة ؛ فقال : ليس هذا الأمر بقطع المسافات . . فارق نفسك بخطوة وقد حصل لك المقصود .

* **يا أخانا** . . قنديل الفكر في محراب قلبك مظلم ، فاطلب له زيت خلوة وفتيلة عزم . . وافهم كلام **الحسن** حين شيع جنازة وجلس علي شفير القبر وقال : إن أمرًا هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله . . وإن أمرًا هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره .

* مازالت الدنيا مرة في العبرة ولكن قد مرض ذوقك ؛ لسان قلبك في عقله غفلة ؛ وسمع فهمك مسدود عن الفطنة بقطنه ؛ ومزاج تقواك منحرف عن الصحة . . فيا نفس تدبري أمرك وتأملي . . وإذا ضللت الطريق فاسلكي . .

* لا تسأم من الوقوف علي الباب ولو طُردت ؛ ولا تقطع الاعتذار ولو رُددت ؛ فإن فُتح الباب للمقبولين دونك فاهجم هجوم المساكين ؛ وادخل دخول الطفيليه وابسط كف «**وتصدق علينا**» .

* من استطاع أن يجعل كنزه في السماء حيث لا يأكله السوس ولا يناله السراق فليفعل فإن قلب الرجل مع كنزه . . فلم شتات أمرك؟ . . وافقه طريق سيرك . . لتكن مع الرابحين الفائزين . . فأول همومهم إرضاء الواحد الديان . . اتباع نهج النبي العدنان . . وآخرها « **تحيتهم يوم يلقونه سلام** » . . .



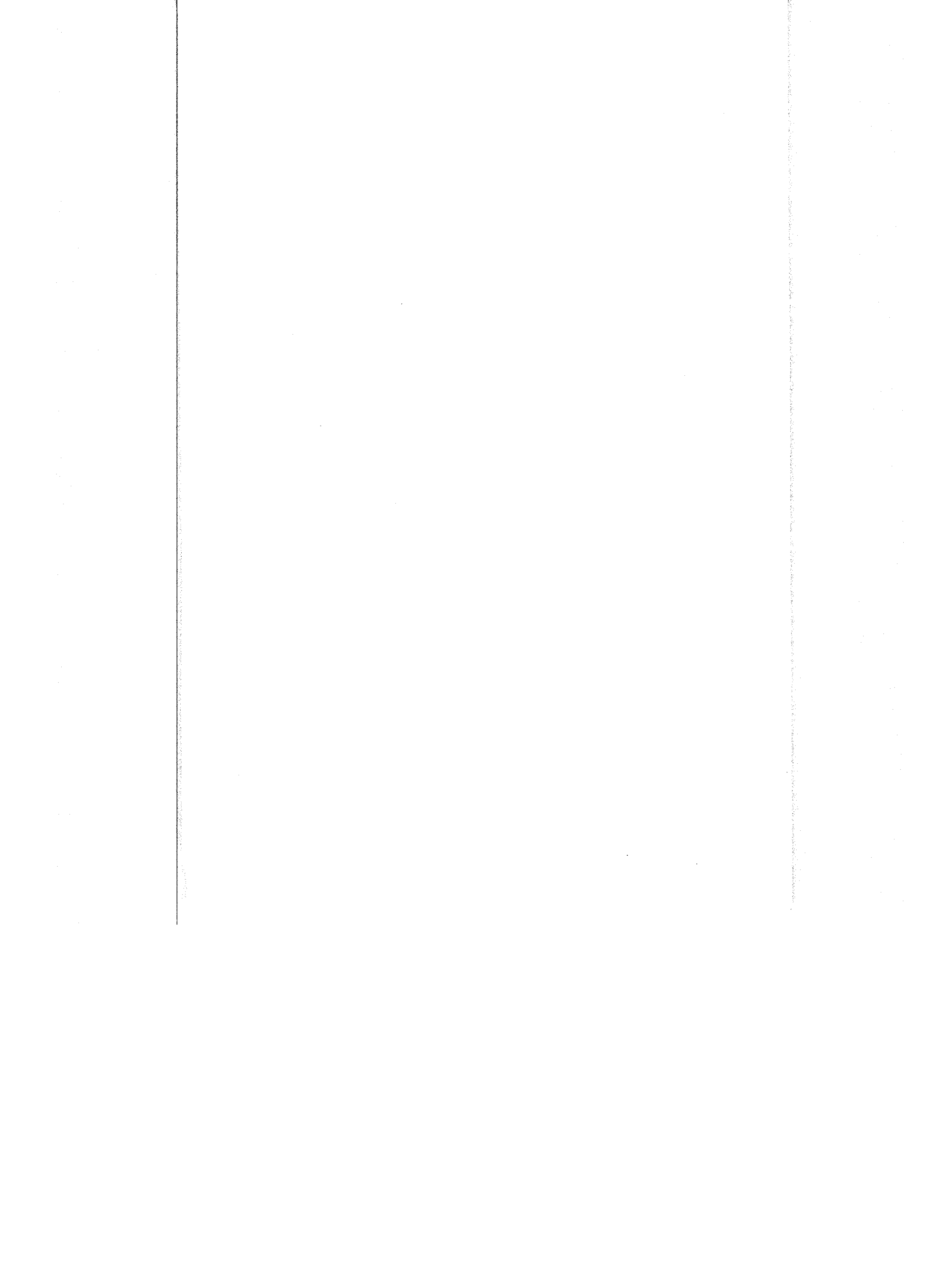
الزيارة الخامسة





أهديك كلمات **لابن القيم** " بين العمل وبين القلب مسافة، فى تلك المسافة قُطّاع تمنع وصول العمل إلى القلب،فيكون الرجل كثير العمل وما وصل منه إلى قلبه محبة ولا خوف ولا رجاء،ولا زهد فى الدنيا، ولا رغبة فى الآخرة،ولا نور يفرق بين أولياء الله وأعدائه،وبين الحق والباطل،ولا قوة فى أمره،فلو وصل أثر الأعمال إلى قلبه لاستنار وأشرق،ورأى الحق والباطل وميز بين أولياء الله وأعدائه "..

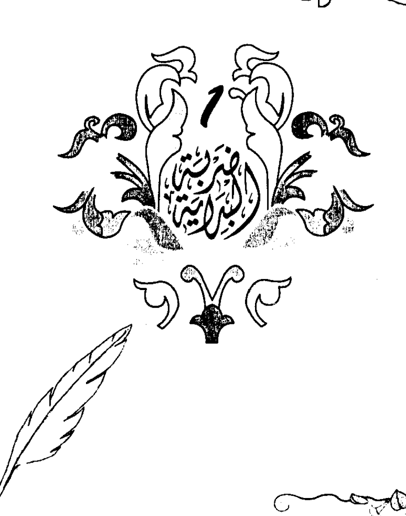
لأن مثل هذه القلوب مغيبة فى مراتع تضمحل فيها الرؤية وتتكاثف فيها السحب وتتاثر بصدأ الانشغالات .. أما إذا ترعرعت في القلب منابع الهداية وارتسمت ابتسامة العبادة .. فقد انتقل من دنيا الناس إلى دنيا الله .. من عبودية غير الله إلى عبودية الله .. من طاعة غير الله إلى طاعة الله ورسوله .. وعبادة الذل والانكسار هذه هى منهج نبيك وغرسه فى صحابته ومن سار على نهجه ..



العلامة الأولى



عبد شكور



إنما أمراض القلوب من الجحود..وأصل العافية أن تشكر على الموجود..

ترانيم الشكر تعمل فى أمراض الفؤاد ما يعمله العسل فى علل الأجساد ..

مواعظ الحمد لأمراض القلوب شافية..

وأدلة الشاكرين لطلب الهدى كافية..

فثمارهم فى أشجارهم وافرة، وقلوبهم من العيوب طاهرة ..

ووجوههم بانوار القبول ناضرة .. وعيونهم فى الجنة لربهم ناظرة .. وقد حازوا ربح الدنيا وفوز الآخرة .



مصطلحات ومفاهيم

مصطلحات ومفاهيم

الشكر .. معنى

" هو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف ، وقد شكره يشكره شكرًا وشكرانًا أيضا ، . . ويُقال : شكره وشكر له وهو باللام أفصح والشكران ضد الكفران وتشكر له مثل شكر له "(1) . .

وبلغة **ابن عباس** " الشكر هو أداء الطاعات فى الظاهر والباطن " وبصغه أخرى كتب **بعض العلماء** " إن الشكر تعظيم المنعم على مقابلة نعمته على حد يمنعه عن جفاء المنعم وكفرانه "(2) . .

ورؤية ربانية لأهل العلم " **حقيقة الشكر هو الاعتراف بالعجز عن الشكر** "

وذات يوم دخل الحبيب ﷺ فرأى كسرة ملقاة فمسحها وقال " **يا عائشة حسنى جوار نعم الله عز وجل ، فإنها قلما نفرت عن أهل بيت فكادت أن ترجع إليهم** "(3) . . وكان من دعاءه " **الحمد لله على ما ساء وسر** "(4) . .

أوليتنى نعمًا أبوح بشكرها
وكفيتنى كل الأمور بأسرها
لأشكرنك ما حييت وإن مت
فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

أنواعه وفنونه :

شكر القلب : قصد الخير وإضماره لطافة الخلق .

شكر اللسان : إظهار الشكر بالتحميدات الدالة .

شكر الجوارح : استعمال نعم الله فى الطاعة ، والتوقى من الاستعانة بها على

---

(1) مختار الصحاح .
(2) منهاج العابدين -أبو حامد الغزالى/ 182
(3) ابن أبى الدنيا والبيهقى وابن ماجه .
(4) صحيح

معصيته، . . فشكر العين حفظها عن النظر الحرام . . ولكل عضو شكر لابد من تأديته ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان: 12] . .

أشاكر أنت أم شكور؟

الشاكر : يشكر على الموجود .

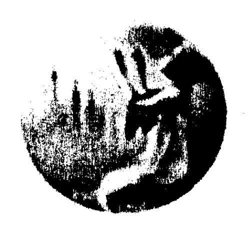
الشكور : يشكر على المفقود .

الشاكر : يشكر على النفع .

الشكور : يشكر على المنع .

الشاكر : يشكر على العطاء .

الشكور : يشكر على البلاء





كنز فى السماء

لما نزل قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [التوبة: 34] .

قال **عمر بن الخطاب** : أى المال نتخذ ؟ . . لأنه حين قرأها تبادر الذهن إلى جمع الأموال وتكديس الخزانة تأمينًا لمستقبل الأولاد وحرصًا على رضا الزوجات . . فيلغى النبى فكرتك وفكرته أن الكنز كلما غلا ثمنه وزاد سعره، زهد فيه كثير من الناس فنقل مجرى الحوار من ذكر الدنيا إلى ذكر الآخرة . . وتحول الطريق من دنيا الناس إلى دنيا الله . . فقال: ﷺ " **ليتخذ أحدكم لسانًا ذاكرا وقلبا شاكراً** "(1) .

لسانا ذاكراً : لا ينطق بغير ذكر ربه لفظة ولا يسهو عنه لحظة . . واللسان الذاكر يصب فى منابع القلب الشاكر . . قلب تحيطه النعمة فيسجد سجدة خاشعة رافعًا رأسه بالحمد والشكر . . وإذا التهمه البلاء اطمئن بالتسليم والصبر . .

وصدق من قال « **إن استطعت أن تجعل كنزك فى السماء حتى لا يستطيعه السراق ولا يأكله السوس فافعل** »

وأنت الآن

هل تستطيع أن تجعل كنزك فى السماء ؟ إذن فافعل . . حين ذاك تنتزع النفس من براثن الفتن والانشغالات وتنقاد للخالق العلام . .

فذلك القلب يُطل النور من شرفاته ، وينضح بالطمأنينة من شتى أركانه، صدق فيه قول الحبيب ﷺ " **إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح**" ؟ قالوا : وما علامة ذلك يا رسول الله ؟ قال " **الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافى عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله** " (2)

فهل ترى لهذه العلامات أثرًا فى قلبك ؟

أو أمارات فى نفسك ؟

أو رسمًا فى روحك ؟ ويا حبذا لو كان هذا قلبك .

استبيان هام

حين قرأ النبى ﷺ قوله تعالى : ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: 1]

(1) صحيح (2) الترمذى . .

قال ﷺ **وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت ؟ أو أكلت فأفنيت ؟ أو لبست فأبليت ؟ »** [1]

أيها الناس أين الذين جمعوا الأموال ولم يغنهم ما جمعوا ؟ أما كُلهم فى القبور جُمعوا ؟ أين الذين قطعوا أيامهم فى الشهوات وما شبعوا أتراهم إليها رجعوا ؟ أين الذين غرتهم الدنيا ؟ خذلوا والله وخدعوا ؟ . أين الذين نصبت حولهم شباك الغفلة حتى وقعوا نزل بهم مفرق الجماعات فذلوا وخضعوا . .

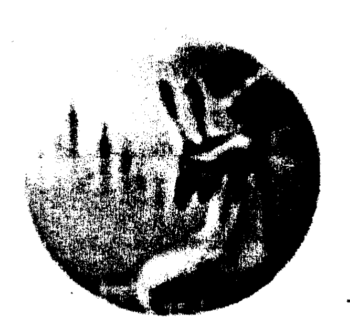
وكلهم ينادى بلسان الحسرات :

يا ليتهم سمعوا . . يا ليتهم فهموا وعملوا . . ارحموا من صار رهيناً فى التراب بلا عمل ينجيه . .أو شفاعة تحميه

ولما دقق ابن مسعود النظر أبصر أهمية الشكر فأعلنها « **الشكر نصف الإيمان** »[2] . . وأوجز النبى ﷺ : « **ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير ، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله** »[3]

إذا أنت لم تزدد على كل نعمة

لموليكها شكرا فلست بشاكر



(1) صحيح .
(2) مكاشفة القلوب .
(3) حسن .

أربـاح ومزايا

حظك منه :

يوضح لك الجنيد إذ كان في مجلس السرى السقطى يقول : وكنت ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يدي السر السقطى جماعة يتكلمون فى الشكر ، فنادانى وسالتى : يا غلام ما الشكر ؟ فقلت : « **أن لا تعصى الله بنعمه** » .

إذا رزقك عينان تبصران . . فلا يكن تصريفهما إلى العبث والنظر إلى كل ما هو حرام

إذا وهبك عقلاً منيراً . . فلا تطغيه بالتفكير فى الذنوب والأوزار

إذا منحك مالاً وفيراً . . فلا تستعن به على معصيته والاستطالة على خلقه . .

ومن الواقع أقول :

شراء ملابس لا تليق بالشاب المسلم أو الفتاه المسلمة وإن كان للفتاه نصيب الأسد من تلك الإشارة . .

وشراء كارت الدش الذى يعرض كل ما لا يرضاه دين أو يسمح به خلق أو حتى تراه إنسانيه . .

الذهاب إلى أماكن اللهو والفجور وتظل من شهواتها مسرور ولا تدرى متى تنتظرك الحفر والقبور . .

أن ينفقها بكف التفريط فلا يُخرج زكاتها أو ينقيها بصدقة تأتى حامله لواء الشفاعة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . .

ولأن هذا المعنى كان حاضراً عند سفيان فحين قرأ قوله تعالى : ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: 182] . . فهمها كما ينبغى أن يكون الفهم وقال « **نسبغ عليهم النعم ونمنعهم الشكر** . . وقال فيها أهل العلم **كلما أذنبوا ذنبا أحدثت لهم نعمة** » . .

والكلام كثير!!!! . .

نصيحة غالية ووصية ثمينة

ونصيحتى إليك هى نصيحة النبى **لمعاذ بن جبل " إنى لأحبك فلا تنس أن تقول دبر كل**

صلاة : **اللهم أعنى على ذكرك . وشكرك وحسن عبادتك** "[1] . .

أعنى على ذكرك . . يتحرك اللسان ليزيل زلاته وآثامه فيصير لسانًا ذاكرًا . .

أعنى على شكرك . . حتى يتحرر القلب من أسر المادة . . وذلة اتباع الخلق . . وقيود الشهوات . . فينتفض انتفاضة الأسد الحبيس ليقتل ران ذنوبه التى حجبته تكرارًا ومرارًا عن رؤية صراط ربه . . وأخذته بمنأى عن درب رسوله . . فيشكر ويهدأ ويطمئن .

وحُسن عبادتك : فإذا كان اللسان ذاكرًا والقلب شاكرًا فالجوارح تستحى، وما تجد بدًا إلا بحسن العبادة وجمال الأداء وحلاوة الروح . . وتنساق فى خشوع وخضوع . . وهنا فقط تتحقق نظرية **الإمام ابن سيرين «إذا أحب الله عبدا جعل له واعظًا من قلبه »** [2] .

واعظًا يحثه افعل . . وواعظًا يصرخ فيه لا تفعل . . فيرى الأمور بعدسة ربانية مكبرة تزح كل الظلمات، وتمحو تزين السيئات، وتبزغ الحقيقة بلا تلوث ضمير، أو وهج نفس، أو إغواء شيطان، أو تأثير هوى . .

فكل ما يرضى الرب يدخل فى بؤرة القلب فتنساق الجوارح ويقود اللسان . . وكما أرشد ﷺ : " **لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ،ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه** "[3] . .

إذا كـــان شكرى نعـــمـــة من الله نعـــمـــة
علىّ له فى مـــــثلهـــــا يـجب الشكـر
فكـيـف بلـوغ الشكـر إلا بفـــــضـــله
وإن طـالـت الأيـام واتـصـل الـعـــــمــــــر

الأوائل .. حامدون .. صابرون .. شاكرون

فى الخبر الصحيح " **أول من يدعى الى الجنة ،الحامدون الله تعالى على كل حال** "[4]

لأنهم أيقنوا النظرية ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: 51]

جف القلم . . رُفعت الصحف . . قُضِي الأمر . كُتبت المقادير . . قُدرت الآجال

---

(1) صحيح .
(2) الزهد لأحمد
(3) صحيح .
(4) صحيح .

. . فمهما أضج القلب الأزمات، ومهما أدميت العين من النكبات، ومهما حَلت الكربات ظلمات بعضها فوق بعض . .

فلا يكن حالك إلا صبرًا يا نفس صبرًا . . بعد كل عسر يسرًا . .

وعقب الضيق فرجا . . ووراء السحب السود فجرًا . . فتهدأ الأعصاب . .

وتسكن بلابل النفس . . وتذهب وساوس الصدر . . لأن البارى قدر . . والقضاء قد حل . .

والاختبار هكذا . . فتذلل لربك وسبح بحمده . .

ولا تظن أنه كان بوسعك إيقاف الجدار أن ينهار . . وحبس الماء أن ينسكب . . وحفظ الزجاج أن ينكسر . . وليكن الشعار " **قدر الله وما شاء فعل** " . .

فيا أيها الصابرون ..الحامدون .. الشاكرون .. المصابون ..

ما فاتكم شيء وأنتم الرابحون . . فقد بعث ربكم برسالاته . . من نعم أو بلاء . . غنى أو فقر . . صحة أو مرض . . أفراح أو أتراح . . مخاوف أو مأمن . . ولكن بين أسطرهم اللطف والعطف . . الثواب والجزاء . . الطمأنينة والسكينة . . السرور والحبور . . فكانوا أول الداخلين . .

وأقول لمن رسمت السطور فى قلوبهم الرضا والقبول . .

إذا افتقدونا عند الباب . . فانتظرونا هناك . . عسانا نلحق بالركاب . . ولا تنسونا من صالح الدعاء . .





نجوم سطعت فى سماء الشكر

• نوح عليه السلام :

اثنى الله عليه " ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ . . ويعلق **محمد بن كعب** " كان نوح إذا أكل قال : الحمد لله . . وإذا شرب قال : الحمد لله . . . وإذا لبس قال : الحمد لله . . وإذا ركب قال : الحمد لله فسماه الله عبدًا شكورًا " (1)

• أيوب عليه السلام :

قال **الحسن البصرى** " كان **أيوب** عليه السلام كلما أصابته مصيبة ، قال : اللهم أنت أخذت وأنت أعطيت ، مهما تبقى أحمدك على حسن بلائك . .

وقـيل : لما ابتلى الله عـز وجل **أيوب** بذهاب المال والولد والأهل فلم يبق له شيء أحسن من الذكر والحمد لله رب العالمين ثم قال : « **أحمدك رب الأرباب الذى أحسنت إلىَّ، قد أعطيتنى المال والولد فلم يبق من قلبى شعبة إلا قد دخله ذلك ، فأخذت كله ، وفرَّغت قلبى ، فليس يحول بينى وبينك شيء ،فمن ذا تعطيه المال والولد فلا يشغله حب المال والولد عن ذكرك لو يعلم إبليس بالذى صنعت إلىَّ حسدنى !!**» (2)

❊ إبراهيم عليه السلام

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ . . وتحدث علامة الزمان ابن القيم فى هذه الآيـة قـائـلاً « فأخبر عنه سبحانه بأنه أمة أى قدوة يؤتم به فى الخير . . وأنه قانت لله ، **والقانت** : هو المُطيع المُقيم على طاعته ، **والحنيف** : المقُبل على الله المعُرض عما سواه . . ثم ختم هذه الصفات بأنه شاكر لأنعمه فجعل الشكر غاية خليله » (3)

❊ سليمان عليه السلام

قـال الله على لسـانه ﴿**وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ**

---

(1) مواعظ الأنبياء / 24 .

(2) مواعظ الأنبياء / 39 .

(3) عدة الصابرين .

وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

* على بن أبى طالب

عن **الأصبغ بن نباته** قال : كان **علىٌّ** إذا دخل الخلاء قال : « باسم الله الحافظ المؤدى وإذا خرج مسح بيديه بطنه ، ثم قال : يا لها من نعمة لو يعلم العباد شكرها "[1]

• أبى تيمية

عن **يونس بن عبيد** قال : قال رجل **لأبى تيمية** " كيف أصبحت . . قال : أصبحت بين نعمتين لا أدرى أيهما أفضل ذنوب سترها الله فلا يستطيع أن يعيرنى بها أحد . . ومودة قذفها الله فى قلوب العباد لم يبلغها عملى " [2] .

• على زين العابدين

كان من دعائه بمنى " **كم من نعمة أنعمتها علىَّ** قل لك عندها شكرها ! ومن بلية **أبليتنى بها قل لك عندها صبرى !**

فيا من قل شكرى عند نعمته فلم يحرمنى، ويا من قل صبرى عند بلائه فلم يخذلنى ، ويا من رأنى **على الذنوب العظام** فلم يفضحنى ولم يهتك سترى ، ويا ذا المعروف الذى لا ينقضى ، ويا ذا النعمة التى لا تحول ولا تزول ، صل على **محمد** وعلى آل **محمد** واغفر لنا وارحمنا "

• حبيب بن محمد ..

كان عاصياً فسمع الموعظة فرق قلبه ، ودمعت عينه ، وتاب إلى الله ، وكان لديه أربعون ألف درهم فَتَصَدَّقَ بهم على أربع مرات . . فتَّصدَق الأولى وقال : انى اشتريت نفسى منك . . ثم الثانية . . وقال : هذا شكر لما وفقتنى إليه ثم تَصَدَّق الثالثة . . وقال : وهذه صدقة إن لم يقبل الله الأولى والثانية ، ثم تَصَدَّق الرابعة ولم يبق معه شىء ، قائلاً : وهذا شكرى على الثالثة !! . [3] .

* حمَّالٌ فقه المعنى

رأى **بكر بن عبد الله المزنى** حمالاً عليه حمله وهو يقول : الحمد لله . . استغفر الله . .

---

(1) الشكر-ابن أبى الدنيا / 12 .
(2) الشكر/ 19 .
(3) كتاب التوابين-ابن قدامه المقدسى / 125

فأنتظرته حتى وضع ما على ظهره، وقلت له : أما تُحسن غير هذا ؟! قال : بلى أحسن خيرًا كثيرًا أقرأ كتاب الله ، غير أن العبد بين نعمة وذنب فأحمد الله على نعمه السابغة وأستغفره لذنوبى، فقلت : الحمَّال أفقه من بكر » .[1] .

* محمد بن واسع

وكثير منا بل كلنا لا يسمع عن هذا العابد العملاق ولعلك تتعرف أكثر عليه من خلال بلوغ عبادته لربه الذروة إذ " خرج له فى رجله قرحة شديدة فقال له رجل من أصحابه . . والله إنى لأرحمك من أجل هذه ، فرد محمد قائلاً : إن كنت تحبنى يا أخى فاشكر الله تعالى معى الذى لم يطلعها فى لسانى أو فى عينى أو فى أذنى أو تحت إبطى !! "[2] . .

أبو بكر المزمنى ..

* يحكى لك عمرو بن عثمان : " ما رأيت أحدًا من المتعبدين فى كثرة من لقيت بمكة المكرمة حرسها الله تعالى ، ولا أحدًا ممن قدم علينا فى المواسم أشد اجتهادًا ولا أدوم على العبادة ، من المزنى رحمة الله تعالى ، ولا رأيت أحدًا أشد تعظيمًا لأوامر الله تعالى منه، وما رأيت أحدًا أشد تضييقًا على نفسه وتوسعه على الناس منه "[3]

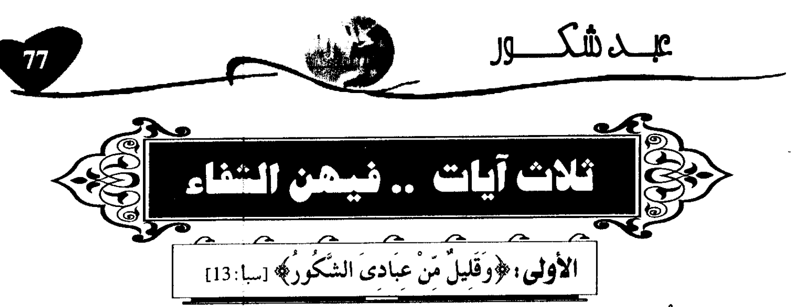
لقد ظهرت عليهم بركات العبادة .. وسطعت على محياهم آثار الهداية ..

وفاح من نفوسهم عبير الإيمان..

ألا من متبع ؟ ألا من مقلد ؟ ألا من مشارك ؟



(1) عدة الصابرين / 122 .
(2) تنبيه المغترين / 193 .
(3) الرسالة القشيرية / 199-200 .



ثلاث آيات .. فيهن الشفاء

الأولى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13]

وعلى خُطى الآية سار سيد قطب بحاسته الظلاليه فسطر كلماته " تقرير يكشف من جانب عن عظمة فضل الله ونعمته حتى ليقل القادرون على شكرها ، ومن جانب آخر على تقصير البشر فى شكر نعمه وفضله ، وهم مهما بالغوا فى الشكر ، قاصرون عن الوفاء ، فكيف إذا قصروا وغفلوا عن الشكر من الأساس ؟! . . "(1)

ويحكى لك قصة ظريفة لتدرك أكثر " كنا نجلس جماعة نتحادث ونتجاوب وتنطلق ألسنتنا بكل ما يخطر لنا على بال ، ذلك حينما جاء قطنا الصغير يدور هنا وهناك من حولنا يبحث عن شيء ، وكأنما يريد أن يطلب إلينا شيئًا ولكنه لا يملك أن يقول ، ولا نملك نحن أن ندرك ، . . حتى ألهمنا الله أنه يطلب الماء وكان هذا ، وكان فى شدة العطش وهو لا يملك أن يقول ولا أن يشير ، وأدركنا هذه اللحظة شيئًا من نعمة الله علينا بالنطق واللسان والإدراك والتدبير وفاضت نفوسنا بالشكر لحظة وأين الشكر من ذلك الفيض الجزيل ؟ "(2) . .

ويقص لك نفحه أخرى " كنا فترة طويلة محرومين من رؤية الشمس ، وكان شعاعها لا يتجاوز حجمه حجم القرش ، وإن أحدنا ليقف أمام هذا الشعاع يمرره على وجهه ويديه وصدره وبطنه وقدميه ما استطاع ولست أنسى أول يوم وجدنا فيه الشمس ، لست أنسى الفرحة الغامرة والنشوة الظاهرة على وجوه أحدنا وفى جوارحه كلها ، وهو يقول فى نغمة عميقة مديدة الله ! هذه هى الشمس . . شمس ربنا ما تزال تطلع . . الحمد لله " . .(3)

فكم نُبعثر فى كل يوم من هذه الأشعة ؟ وكم نسبح ونغرق فى نعم الله ؟ وكم نشكر هذا الفيض الغامر والذخر العامر المتاحُ المباح . . من غير ثمن ولا كد ولا معاناة ؟ وهل ستكون من القلة المعنية فى الآية ؟! ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] . .

---

(1) فى ظلال القران / 5/2899- بتصرف
(2) السابق.
(3) السابق.

الثانية : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم : 7]

يُعلق عليها ابن كثير " لئن شكرتم نعمتى عليكم لأزيدنكم، ولئن كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها إن عذابى لشديد، يسلبها عنهم وعقاب إياهم على كفرها وكما قال الحديث " **إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه** "(1) . .

أخي .. أختاه :

إن شكرك لا يعود على الله عائدة، وإن إنكارك وجحودك لا يرجع على الله أثره . . فالله غنى بذاته محمود بصفاته لا بحمد الناس وشكرهم على عطاياه . . وإنما يتحقق صلاح الحياة بالشكر وتزكو النفوس بالاتجاه إلى الله، وتستقيم بشكر الخير، وتطمئن إلى الاتصال بالمنعم . .

فلا تخش نفاذ النعمة وذهابها، ولا تذهب نفسك حسرات وراء ما يضيع أو يبيد . . فالمنعم موجود والنعم بشكره تزيد . . وهذا هو قلب العابد يرصد الزمن الدوار ليحمد مقلب الليل والنهار، ويتفاءل بنعمة قادمة ويشيع نعمة ذاهبة . .

******

الثالثة : ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم : 34]

روى أن بعض الفقراء شكا فقره إلى بعض أرباب البصيرة وأظهر شده اغتمامه بذلك . . فقال له : أيسُرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم ؟

قال : لا . .

قال : : أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم ؟

قال : لا . .

قال : أيسرك انك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرون ألفا ؟

قال : لا . .

قال : أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم ؟

قال : لا . .

قال : أما تستحى أن تشكو مولاك ولك عنده عروض بخمسين ألفًا ؟!! (2)

(1) تفسير ابن كثير /275/4.
(2) ففروا إلى الله -أبو ذر القلمونى/ 236 .

ترانيم الشاكرين

• ابن القيم يقيم

كان **ابن القيم** منهم فقسمهم " أحدهما : اعترافه بنعمة الله عليه ؛ الثانى : الثناء عليه بها ؛ الثالث : الاستعانة بها على مرضاته " . .

• الحمد لله بالإسلام

وذات يوم سمع النبى ﷺ رجلاً يقول : «الحمد لله بالإسلام» . . فقال : « **إنك لتحمد الله على نعمة عظيمة** " (1) . . وأيقن بذلك **عبد الملك بن مروان** فكان يسمعه **ثور بن خالد بن معدان** كثيراً ما يقول " ما قال عبد كلمه أحب إليه وأبلغ فى الشكر عنده من أن يقول : **الحمد لله الذى أنعم علينا وهدانا للإسلام** "(2) . . . .

• اكتباها كما قال

روى أن عبداً من عباد الله قال " **يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك** "

فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها ، فصعدا إلى السماء ، فقالا : يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها ؟ ! قال الله - وهو أعلم بما قال عبده - ماذا قال عبدى ؟ قالا : يا رب إنه قد قال : **يا رب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك** . . فقال الله لهما : **اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها** "(3)

«والظاهر أن هذا العابد كان فى سياحة روحية ، طوفت به فى آفاق لا يعلمها إلا الله ، استجمع فيها من الآيات والعبر ما شحن قلبه وغمر حسه وغلب على ظاهره وباطنه لم ير إلا أن يُحيى ربه بهاتين الجملتين . . ورأى الملكان أن ما قال فوق ما لديهما من ضوابط الأجور ففعلا ما فعلا "(4) .

• والحسن اقتفى الأثر

وكان **الحسن البصرى** يردد " الحمد لله .

اللهم ربنا لك الحمد كما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرَّجت عنا . .

(1) أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الشكر . (2)صحيح الوصايا -سعد يوسف أبو عزيز/ 403/2 .
(3) رواه احمد . (4) فن الذكر والدعاء / 97 .

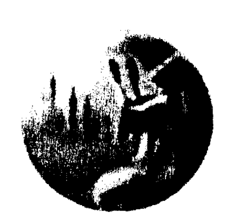
لك الحمد بالإسلام والقرآن، ولك الحمد بالأهل والمال والمعافاة . .

كَبَت (أذللت) عدونا ، وبسطت رزقنا، وأظهرت أمتنا ، وأحسنت معافاتنا، ومن كل ما سألناك ربنا أعطيتنا،

فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً،

لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا فى قديم أو حديث أو سر أو علانية أو خاصة أو عامة، أو حى أو ميت ، أو شاهد أو غائب،

لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت "[1] . .



(1) الزهد لابن المبارك .

كيف تشكر ؟

الطريقة الأولى : شكر متواصل لتواصل

" نحن جماهير البشر نصبح ونمسى نخوض فى نعم الله خوضاً، فلماذا لا نوقظ أفكارنا الغافلة إلى معرفة تلك المنن ؟ ولماذا لا نوقظ ضمائرنا لشكر مرسلها ؟ "[1] . .

وتقترب الرؤية لتصبح أكثر وضوحاً وأجمل بياناً حين قال **على بن أبى طالب** لرجل من **همذان** " إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر مُعلق بالمزيد وهما مقرونان فى قرن متصلين ببعض فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد " . .

ونهل من نفس الكأس **قتادة** فمدحه " نعم العبد عبدًا إذا ابتلى صبر وإذا أعطى شكر "[2] . .

لذا إذا بُشرت بنعمة تَسُر أو باندفاع نقمة تضر فاسجد شكرًا لله ولو كنت على غير وضوء أو فى غير اتجاه القبلة «فعن **أبى بكر** أن النبي ﷺ كان إذا أتاه أمر يَسُره أو بُشر به خر ساجداً شكراً لله تعالى[3] .

الطريقة الثانية : رباعية الهمم

تلك هى البنود " **أولاً** : أن يحمد الله على نعمه بلسانه ويشكره . .

ثانيًا : أن يعتقد أن هذه النعمة أو النعم آتية من الله تعالى كرما منه وإحساناً . .

ثالثًا : أن لا يستعين بها على معاصيه بل يطيع الله فيها . .

رابعًا : أن يعرف فضل الله عليه وكرمه فيستحى منه فلا يعصيه "[4]

الطريقة الثالثة : لكل نصيب

قال رجل **لأبى حازم** : **ما شكر العينين يا أبا حازم ؟**

قال : إن رأيت بهما خيراً أعلنته، وإن رأيت بهما شراً سترته

قال : **فما شكر اليدين ؟!**

---

(1) (خواطر الفجر / 120) .
(2) (تفسير ابن كثير /275/4) .
(3) (أبو داود وابن ماجه والترمذى وحسنه) .
(4) إيقاظ أولى الهمم العالية / 116

قال : لا تأخذ بهما ما ليس لهما ، ولا تمنع حقاً لله هو فيهما

قال : **فما شكر الأذنين ؟!**

قال : إن سمعت بهما خيرا وعيته وان سمعت بهما شرا دفنته

قال : **فما شكر البطن ؟!**

قال : أن يكون أسفله طعاما وأعلاه علما

قال : **فما شكر الفرج ؟!**

قال : كما قال تعالى : ﴿ **إِلاَّ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ** ﴾ [المؤمنون : 6-7] . .

قال : **فما شكر الرجلين ؟!**

قال : إذا رأيت حيًا غبطته (رجلاً تسعى للصالحات فأحبب أن تكون رجلك مثلها) استعملت بها عمله وإذا رأيت ميتًا مقته (أبغضت عمله) وكففتهما عن عمله ، وأنت شاكر لله عز وجل . .

فأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه ،فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه ،فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر(1) .

الطريقة الرابعة : اشكر كل وقت وحين

قال ﷺ " **ما أنعم الله على عبد نعمة فقال : الحمد لله ،إلا كان الذى أعطى أفضل مما أخذ** "(2) . .

وفى رواية " **لو أن الدنيا بحذافيرها فى يد رجل من أمتى ثم قال : الحمد لله ؛ لكانت الحمد لله أفضل من ذلك كله** " . .

" نعم الله عليك فى الطاعة كثيرة فقد أمكنك منها وأزاح عنك العوائق حتى تفرغت لهذه الطاعة ، وخَصَّك بالتوفيق والتأييد ، ويسرها عليك وزينها فى قلبك حتى عملتها ، ثم مع جلاله وعظمته واستغنائه عنك وعن طاعتك وكثرة نعمه عليك أعد على هذا العمل اليسير الثناء الجزيل والثواب العظيم الذى لا تستحقه "(3)

---

(1) صحيح وصايا الرسول . (2) صحيح . (3) منهاج العابدين/ 122 .

الطريقة الخامسة : وصفة صبر عند البلاء

" من نزلت به بلية فأراد تمحيقها ، فليتصورها أكثر مما هي تُهن وليتخايل ثوابها ، و ليتوهم نزول أعظم منها ، يرى الربح ، في الاقتصار عليها ، وليتلَمح سرعة زوالها فإنه لولا كرب الشدة ما أجُيب ساعات الراحة وليعلم أن مدة مقامها عنده كمدة مقام الضيف ، فليتفقد حوائجه في كل لحظة ، فيا سرعة انقضاء مقامه ويا لذة مدائحه وبشره في المحافل ووصف المضيف بالكرم . .

فكذلك المؤمن في الشدة ينبغي أن يراعي الساعات ،ويتفقد فيها أحوال النفس ،ويتلمح الجوارح ،مخافة أن يبدر من اللسان كلمة ،أو من القلب تسخط ، فكأنه قد لاح فجر الأجر فانجاب ليل البلاء ومدح الساري بقطع الدجى ، فما طلعت شمس الجزاء إلا و قد وصل إلى منزل السلامة " (1) .

يا سادة يا كرام ..

خلاصة القول :

إن الشاكرين العابدين يشملهم الله برعايته ، ويحوطهم بكرمه ، ويظللهم بسمائه ، ويأويهم فى أرضه ، ويزيدهم من رزقه . . فيحكى حال الواحد منهم . .

إن معي ربي سيهدين ..

ويطعمني ويسقين

وإذا مرضت فهو يشفين



(1) (صيد الخاطر / 36).



تضرع وابتهال

عن عتبة بن الأزهر قال : كان محارب بن دثار قاضى أهل الكوفة قريب الجوار منى فربما سمعته فى بعض الليل يقول ويرفع صوته :

أنا الصـغيـر الذى ربيتــه فلك الحـمـد ..

وأنا الضـعـيف الذى قـويتـه فلك الحـمـد ..

وأنا العـارى الذى كـسـوته فلك الحـمـد ..

وأنا الفـقـيـر الذى أغنيتــه فلك الحـمـد ..

وأنا الساغب (الجائع) الذى أشبعته فلك الحمد ..

وأنا المسـافـر الذى صـحـبتـه فلك الحـمـد ..

وأنا الغائب الذى أديته (رددته لأهله) فلك الحمد ..

وأنا الراحل الذى حـملتــه فلك الحـمـد ..

وأنا المريض الذى شـفـيتــه فلك الحـمـد ..

وأنا الداعى الذى أجـبتــه فلك الحـمـد ..

ربنا ولك الحمد حمدا لك على كل نعمة . . ياهُمام لتكن عمليًا توضأ الآن واستقبل القبلة وردد ما قرأت بقلبك مرة واثنتين وثلاث . .

وسترى الفارق ؟!

الله أعــلم

" النعمة إنما تُعَطى لمن يعرف قدرها ، وإنما يعرف قدرها الشاكر ومن ظن أن النعمة إنما تُعَطى من يكون أكثرهم مالاً وأشرفهم حسبًا ونسبًا فقالوا : ما بال هؤلاء الفقراء أعُطوا النعمة العظيمة ، فقالوا على طريق الاستكبار ومجرى الاستهزاء " أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا " فأجابهم الله بهذه النكتة الزاهرة ﴿**أليس الله بأعلم بالشاكرين**﴾ "[(2)] . .

---

(1) مواعظ الأنبياء / 50

(2) منهاج العابدين / 185/ بتصرف .

ويُخضع الحياة بتمامها **وهب بن الورد** لهذه النظرية عندما كان يُسأل عن ثواب شيء من الأعمال فيرد : " لا تسألوا عن ثوابه ، ولكن اسألوا ما الذى على من وُفق لهذا العمل من الشكر والتوفيق والإعانة عليه " [(1)]

اعملوا شكرا :

آل داود حالهم عجب عجاب مع الشكر ، لأنهم اتخذوه نبراسًا على الطريق ، ومشعلاً على الدرب . . ويحفز أولى الهمم وأصحاب القمم **ثابت البنانى** . . ويستفزهم نحو الخيرات ليدوى الخبر " كان **داود** عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم يكن ساعة من ليل أو نهار إلا وإنسان من **آل داود** قائم يصلى فيها فعمهم الله فى هذه الآية " ﴿**اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور**﴾[(2)] .

يا قوى الملاحظة : هلا لاحظت " **اعملوا** " وهذا مما يفتح لذهنك الأفق ويفسح لعقلك المجال أن حقيقة الشكر فى التنفيذ والعمل وليس بالقول والكسل . . واعتصر قلب **داود** لأمر الله إياه " **اعملوا** " فرأى أن الحمل ثقيلٌ والقول يستدعى البرهان ،

فناجى قلبه ربه " إلهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك ؟ فأوحى الله تعالى إليه : **الآن قد شكرتنى** " !! . .

الآن فقط شكرتنى حين تستشعر العجز ويستقر فى مخيلتك الفقر فتسلم تسليم المساكين وتنكسر انكسار المتذللين . . **فقد شكرت** . .

بل وازدادت الرؤية تجليًا وأشرقت الصورة وضوحًا حين غسل يده مما عمل . . وبَرأ نفسه من أن يؤدى حق الله عليه فروى **الحسن** اعتراف **داود** عليه السلام مناشدًا «**إلهى لو أن لكل شعرة منى لسانين يسبحانك الليل والنهار والدهر ما وفيت حق نعمة واحدة** » [(3)] . .

وهو هو حال **موسى** عليه السلام " إلهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف أشكرك ؟ فقال : علم أن ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكره لى "

همسة

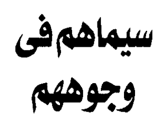
قال **داود** : إلهى . . كيف لى أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك ؟! فأوحى الله إليه : « **يا داود ألست تعلم أن الذى بك من النعم منى**» ؟! قال : بلى . . قال : **فإنى أرضى بذلك منك شكراً** " [(4)]

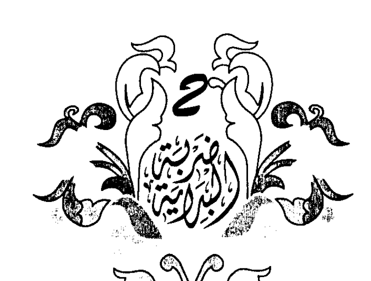
---

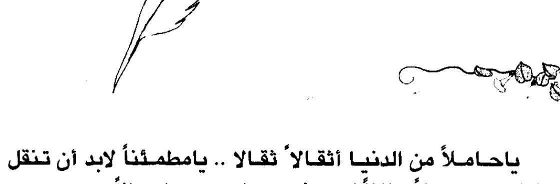
(1) لطائف المعارف -بن رجب / 301
(2) صور ومواقف من حياة التابعين .
(3) عدة الصابرين .
(4) مواعظ الأنبياء/ 50



العلامة الثانية







ياحـامـلاً من الدنيـا أثقـالاً ثقـالا .. يامطمـئناً لابد أن تـنقل انتقالا.. يا مرسلاً عناناً لهوه فى ميدان زهوه ارسالاً .

كأنك بجفنيك حين عُرض الكتاب عليك قد سالا.

أين المعترف بما جناه ؟! ،أين المعتذر إلى مولاه ؟!

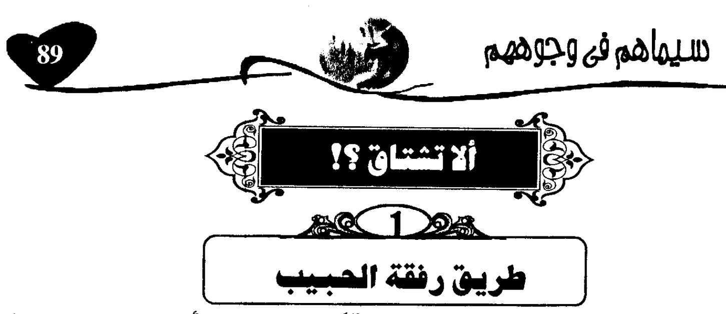
أين الآيب من سفر دنياه وهواه؟!

نيران الاعتراف تأكل خطايا الاقترف

مجانيق الزفرات تهدم حصون السيئات .

سجدات المحراب تغسل أنجاس الخطيئات ..

تمريغ الجباه أقصر الطرق إلى أسعد حياه



ألا تشتاق ؟!

1
طريق رفقة الحبيب

عن ربيعة بن كعب قال : كنت أخدم النبى ﷺ فإذا كان الليل أويت إلى باب رسول الله فبت عنده فلا أزال اسمعه يقول : " **سبحان الله .. سبحان ربى** " حتى أمل أو تغلبنى عينى فأنام فقال يومًا : " **يا ربيعة : سلنى فأُعطيك** " فقلت : أنظرنى حتى أنظر وتذكرت ، إن الدنيا فانية منقطعة فقلت : يا رسول الله أسألك أن تدعوا الله أن ينجنى من النار ويدخلنى الجنة . . فسكت رسول الله ثم قال : «**من أمرك بهذا**» . ! قلت : ما أمرنى به أحد ولكنى علمت أن الدنيا منقطعة فانية ، وأنت من الله بالمكان الذى أنت منه ، فأحببت أن تدعو الله لى . . قال " **إنى لفاعل .. فأعنى على نفسك بكثرة السجود** " (1)

يا هذا إنما خُلقت الدنيا لتجوزها لا لتحوزها ولتعبرها لا لتعمرها . .

يا مسافرين من عَزَم تزود . . يا راحلين إلى متى الانقطاع عن الركب؟! . .

ول الدنيا ظهرك ترفع لك الآخرة نقابها . .

إلى متى أنت فى طلبها ؟ إلى كم الاغترار بها ؟ أين القلب الحى ؟ أين العقل الواعى ؟

من كربيعة ؟

يا أطفال الغفلة ما أشد حنينكم إلى الرضاع ، وفطامكم عن الهوى الذى أغار على القلوب . . وأغشى على العيون . . كن **ربيعه** فى سؤاله . . كن **ربيعه** فى تفكيره . . تعلق قلبه بهول المصير لأنه يخاف الناقد البصير . . رأى حقيقة الدنيا فكشف زيفها . .

وأنت اخى .. وأنت أختاه ..

إذا سُئلت " **سلنى فأعطيك** " ومن الذى يسأل إنه حبيب القلوب ﷺ ماذا سيكون الجواب ؟ وفيما سيصوب التفكير ؟ وأين سيسعى القلب نشوة ؟ وماذا يردد اللسان فى لهفة ؟

' فأعنى على نفسك بكثرة السجود '

إجابة أخرست ألسن البطالين . . وهزت قلوب التائهين . . وأعادت الانتباه للغافلين . . وثبتت خطى المؤمنين . .

فهل من معين ؟

---

(1) صحيح .

2

ارتقاء المنابر

عن **معدان بن أبى طلحة** قال : لقيت **ثوبان** مولى رسول الله فقلت : أخبرني بعمل أعمله يدخلنى الله به الجنة أو قال : بأحب الأعمال إلى الله فسكت ، ثم سألته فسكت ، ثم سألته الثالثة .

فقال : سألت عن ذلك رسول الله فقال : «**عليك بكثرة السجود فإنك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة ، وحط بها عنك خطيئة** »[1] . .

يا من له تعنو الوجـــوه وتخـــشع
ولأمـــره كل الخـــلائق تخـــضع
أعنـو إليك بجـــبـــهة لم أحنهـــا
إلا لوجـــهك ســاجـــداً أتضـــرع [2]

السلعة الغالين :

أخبرني بعمل أعمله يدخلنى الله به الجنة . . **آه ثم آه** . . من ذكر الجنة . . تاه عنها الكثير . . ومن نسى اسمها ليس بالقليل . . وكأنها أرض أحلام لا يرى فيها الأنام . . فأصبح فى زمننا ذكر كلمة الجنة خاملة ساكنة باهتة . .

لأن القلوب تبدلت والأفهام تحولت . . كلمة تحتاج لإدراك . . بعد أن كانت عند الصحب والسلف . . تفتح من القلب الباب . . ويشمرلها الأحباب . . ومجرد التلفظ بها تتنفس القلوب الصعداء اشتياقاً . . وتهفو لها الروح ابتهاجًا . .

أما الآن ..

فلا شيء يرفع القيود عن القلوب . . أو يجلو الران عن الصدور . . كلٌ فى حاله . . لا المذنب يسعى للتوبة . . ولا الغافل ينوى التصحيح . . ولا الشاب يكف . . ولا الفتاه تنتهى . .

انتبهوا يا سادة : إنها الجنة . . ألا تصدقون ؟ ألا تتحمسون ؟ ويكفى الحر الملامة .

---

(1) صحيح .
(2) نفحات ولفحات للقرضاوي/ 32.

انضم لحزبهم:

" دخلوا على عابد فقالوا له : لو رفقت بنفسك . . قال : من الرفق أتيت " . .

اسمع يا كسلان . . كانوا فى طلب العلا يجتهدون . . ولا يرضون بالدون . .

لذا كثُر السجود . . وأنفُقت العبادة بكف الجود . .

فلا تسجد سجدة إلا رفعك الله بها درجة . . وحَطَّ بها خطيئة . .

(ولدينا مزيد)

فما من سجدة إلا وهى تناذى أختها :

أن هلمى فلو رأيتى كم ارتقيت الدرجات

وكم غفر مع هذه الدقيقة السيئات لهرولتي إليَّ ..

أسرعى . . **أيتها الجباه الساجدة** . . لا تنقطعى . .

أيتها النواصى شدى المئزر . .

فأمامك مضاعفة الحسنات وارتقاء الدرجات . .

ونيل أرباح السجدات . .

والفرصة لا زالت قائمة..



3

برهان النجاة

يقول ﷺ " **إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار، أمر الله الملائكة أن يخرجوا من يعبد الله فيخرجه ويعرفونها بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود** " . .

والإمام ابن باديس يوضح ذلك " السجود مظهر لغاية الذل والخضوع والانقياد والاستسلام، وذلك أصل العبادة » "[1] . . ويُرجع السبب ليكون جليًا **ابن عمر إسماعيل بن عبيد " يا ابن أخي خطايا الإنسان في رأسه وإن السجود يحط الخطايا "**[2]

كيف ؟؟

كيف تأكل النار جباه لم تسجد إلا لخالقها ؟ . .

كيف تقترب من جباه مرغت فى التراب لبارئها ؟ . .

جبهة كل وقت له تسجد ولا غيره تعبد . . تذللت النواصى فعزت . . وانكسرت فرفعت بالرضا . . وحين سجدت انهارت أصنام الكبر والإعجاب . .

أما من لم يمرغ الجبين واكتفى بحركات خالية من الروح وبعيدة عن المقصود . .

أقول له : . . يا كثير الانبساط . . أما تخاف عواقب الإفراط ؟يا مؤثرًا الفاني على الباقي . . ألك قدم تصلح للمشى على الصراط ؟

وكم من فتى يصبح ويمشى آمنًا
وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى

فاستلب زمانك يا مسلوب . . وغالب الهوى يا مغلوب . . وحاسب نفسك فالعمر محسوب وامح القبيح فالكل عليك مكتوب . .

فوا عجبًا لنائم فى سكرته وهو مطلوب . . ولضاحك ملء فيه وهو مصر على الذنوب . . وغافلاً عن ربه وعن السجود . . ويكفيك ما يحكيه **أبو بكر بن عياش** وهو يخبرك رأيت حبيب **بن أبى ثابت** ساجدًا فلو رأيته قلت ميت ! ! يعنى من طول السجود .[3]

لأن للنجاة برهان .. وللجنة دليل .. وللعبادة توقان ..

---

(1) تفسير بن باديس / 459
(2) الزهد لابن المبارك/ 557/2 .
(3) سير أعلام النبلاء- الذهبى /291/5

4

اقتراب من الرب وفرحة في القلب

يقول ﷺ: " **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء** " مسلم . .

والإمام النووي يجلي عين بصيرتك " معناه أقرب ما يكون من رحمة ربه وفضله ، وفيه الحث على الدعاء في السجود ، وفيه دليل لمن يقول إن السجود أفضل ، من القيام وسائر أركان الصلاة "[1]

ويعلّق **المناوي** بطريقته البديعة وسجَيتة الجميلة «السجود حالة غاية التذلل ، وإذا عرف العبد نفسه بالذلة والافتقار ، عرف أن ربه العلي الكبير المتكبر الجبار ، فالسجود لذلك مظنة الإجابة ، ومن ثم حثَّ على الدعاء فيه بقوله . . فأكثروا "[2]

وعاش تلك اللحظات صاحب الواحات فيحكى عن شعوره قائلاً " إنها اللذة التي يستشعرها الإنسان حينما يستيقن أنه يأوى إلى ركن متين قادر على قضاء حاجته بعد أن عجز البشر ، إنها اللذة التي يستشعرها الإنسان حينما يفرغ كل ما فيه من الهموم بين يدى مولاه ، فلا يبقى شيء يقلقله بعد ذلك مادام قد فوض مولاه بحلها وكشفها ، وهو القادر على ذلك "[3]

واعتبرها **مسروق** أعظم اللذائذ فقال " **ما من الدنيا شيء آسى عليه إلا السجود لله تعالى** "[4]

5

خير من الدنيا وما فيها

يقول ﷺ: " **والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويضع الحرب ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ،حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها** "[5] . .

نعم أخي . . من ذاق لذة القرب ولذة الذل ولذة الخضوع والاستسلام . . كانت عنده السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها . . وأؤكد لك . . فعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ مر بقبر فقال : «**من صاحب هذا القبر ؟!**» فقالوا : فلان . . فقال : « **ركعتان خفيفتان بما تحقرون وتنفلون يزيدهما هذا فى عمله أحب إليه من بقية دنياكم** "[6] . . " أي : أن الناس يرغبون عن الدنيا ، حتى تكون السجدة الواحدة أحب إليهم من الدنيا وما فيها "[7]

---

(1) (شرح النووى -الإمام النووى / 200/4) . .
(2)(فتح القدير-الشوكانى 68/2) . .
(3) (واحات الإيمان -عبد الحميد البلالى/ 11/2-12)
(4) (الزهد لأحمد / 349)
(5) البخارى
(6) صحيح
(7) (فتح البارى-ابن حجر / 493/6)

6

المعرفـة اللذيـــذة

قال ﷺ : " **ما من أمتى من أحد إلا وأنا أعرفه يوم القيامة**» قالوا : وكيف تعرفهم يا رسول الله فى كثرة الخلائق ؟! قال : «**أرأيت لو دخلت صُبرة فيها خيل دُهم وفيها فرس أغر محجل أما كنت تعرفه منها ؟**»

قالوا : بلى . .

قال : «**فإن أمتى يومئذ غر محجلين من السجود ، محجلين من الوضوء** "[1]

7

أولـــى النـاس بالرحـمة

يتحدث النبى ﷺ فى قوله﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾[القيامة: 22] فقال

" **حتى إذا فرغ الله من** القضاء بين العباد ، وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئًا ممن أراد الله أن يرحمه ، ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم فى النار بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود ، حَرَّم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار قد امتحشوا فَيُصَبُّ عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة فى حميل السيل "[2]

8

التنفيـذ المنجــــى

يقول تعالى " ﴿ **خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ**﴾[القلم: 42]. .

" فإذا كان يوم القيامة وانكشف فيه من القلاقل والزلازل والأهوال ما يدخل تحت الوهم ، وأتى البارى لفصل القضاء بين عباده ومجازاتهم ، فكشف لهم عن ساقه الكريمة التى لا يشبهها شىء ، ورأى الخلائق من جلال الله وعظمته ما لا يمكن التعبير عنه ،

---

(1) مسند أحمد /189/4/ صحيح . .

(2) البخارى / فتح البارى / 7437 .

فحينئذ يُدعَون إلى السجود لله ، فيسجد المؤمنون الذين كانوا يسجدون لله طوعًا واختيارًا . . ويذهب الفجار والمنافقون ليسجدوا ، وتكون ظهورهم كصياصى البقر لا يستطيعون الانحناء ، وهذا الجزاء من جنس عملهم ، فإنهم كانوا يدعون فى الدنيا إلى السجود لله وتوحيده وعبادته وهم سالمون ، لا علة فيهم فيستكبرون عن ذلك ويأبون ، فلا تسأل يومئذ عن حالهم وسؤ مآلهم ، فإن الله سخط عليهم وحقت عليهم كلمة العذاب ، وتقطعت أسبابهم ،

ولم تنفعهم الندامة والاعتذار يوم القيامة " [1]



9 تناغم مع الكون

آية تخضع معها القلوب:

يقول تعالى " ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾[الحج: 18].

« يتدبر القلب هذا النص، فإذا حشد من الخلائق مما يدرك الإنسان ومما لا يدرك، وإذا حشد من الأفلاك والأجرام مما يعلم، الإنسان ومما لا يعلم وإذا حشد من الجبال والشجر والدواب فى هذه الأرض التى يعيش عليها الإنسان، وإذا بتلك الحشود كلها فى موكب خاشع تسجد كلها لله، وتتجه إليه وحده دون سواه ، تتجه إليه وحده فى وحده واتساق إلا ذلك الإنسان فهو وحده الذى يتفرق . .

فلا كرامة إلا بإكرام الله ولا عزة إلا بعزة الله " [2]

وفى قوله تعالى " ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾[الرحمن :6]

استنبط **الإمام الشوكانى** العصود فردد " المراد بسجودهما انقيادهما لله تعالى انقياد الساجدين من المكلفين "[3]

---

(1) تفسير كلام المنان –عبد الرحمن السعدى / 452/7-453
(2) الظلال 2414/4 .
(3) فتح القدير 132/5 .



اسجد واقترب

أغلى اللحظات

السجود لحظات تثمر حرارة الشوق بينك وبين الله، وتكتب سطور الحزن لتكاسلك وهوانك فى عبادته، وترسل أنفاس الأسف حتى يأتيك توقيع ربك بنظرة رحمة تدخل على إثرها الجنة.. وكما قال طاووس " دخل عليُّ بن الحسين الحجر ليلة فصلى فسمعته يقول فى سجوده : عبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك، سائلك بفنائك " [1] .. وأتركك تتسلى بهدية المصطفى ﷺ **«ما من حالة يكون العبد عليها أحب إلى الله من أن يراه ساجدا يعفر وجهه فى التراب»** [2]

تراهم ركعًا سجدًا

يشحذ هممنا ابن كثير في تفسيره في قوله﴿ **تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا** ﴾[الفتح: 29] .. " وصفهم بكثرة العمل وكثرة الصلاة وهي خير الأعمال ووصفهم بالإخلاص فيها لله عز وجل، والاحتساب عند الله تعالى جزيل الثواب وهو الجنة المشتملة على فضل الله عز وجل، وهو سعة الرزق عليهم، ورضاه تعالى عنهم وهو أكبر من الأول " [3]

ورضوان من الله أكبر

من أثر السجود

وبإحساسه المرهف ومشاعره الدفَّاقة استشعر صاحب الظلال ظلال " قوله تعالي :
﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ** ﴾ [الفتح : 29].

«من الوضاءة والإشراق والصفاء والشفافية، ومن قبول العبادة، وليست هذه السيماء هى النكتة المعروفة فى الوجه، كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله " **من أثر السجود** " فالمقصود هو أثر العبادة.

---

(1) الجامع المنتخب من رسائل بن رجب / 99
(2) الطبرانى
(3) تفسير ب كثير.

واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله فى أكمل صورها ، فهو أثر هذا الخشوع أثره فى ملامح الوجه حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة ، ويحل مكانها التواضع النبيل والشفافية الصافية ، والوضاءة الهادية، والذبول الخفيف، الذى يزيد وضاءة وجه المؤمن وضاءة وصباحه»[1]

وجوه غسلتها دموع الأحزان . .

وجوه تخبر عن القلوب إخبار العنوان . . حرسوا الوقت باليقظة وحفظوا الزمان وشغلوا العيون بالبكاء والألسن بالقرآن . .

وجوه ما توجهت لغير الله واستدارت، وأقدام إلى غير ما يرضاه ما سارت . .

وأفئدة بغيره ما استجارت . . وقلوب بغير ذكره ما استنارت . .

ولو رأت عيون الغافلين ما أعُد لهم لحارت . .

أما تتحفز؟!



(1) الظلال 3332/6



* كان **عبد الله بن الزبير** يركع فيكاد الطير أن يقع على ظهره ويسجد فكأنه ثوب مطروح [1].

*كان **العنبس بن عقبه** يسجد حتى تقع العصافير على ظهره فكأنه جذم حائط[2]

* كان **صفوان بن سليم** كثير السجود فوقع بعد موته آية من ربه، فقال **سفيان** . . أخبرني الحفار الذى يحفر قبور أهل المدينة قال : حفرت قبر رجل . . فإذا أنا قد وقعت على قبر ، فوافيت جمجمة ، فإذا السجود قد أثر فى عظام الجمجمة، فقلت . . قبر من هذا . . فقال : أو ما تدرى ؟! هذا قبر **صفوان بن سليم** . .

وعن **محمد بن منصور** قال : يقول أهل المدينة إنه بقيت جبهته من كثرة السجود . . [3]

*كان **مرة بن شرحبيل** كثير الصلاة ويظهر فى وجهه وكفيه وركبتيه آثار الركوع والسجود وكان موضع صلاته كمبارك الإبل !! . .

وقال عنه **الحارث الغنوى** . . سجد مرة حتى أكل التراب جبهته، فلما مات رآه رجل من أهله فى منامه كأن موضع سجوده كهيئة الكوكب الدرى يلمع، فقلت له : ما هذا الذى أرى بوجهك ؟! قال : كُسىَ موضع السجود بأكل التراب له نورا . . قال : ما منزلتك فى الجنة ؟! قال : خير مَنزلَة دار لا ينتقل عنها أهلها ولا يموتون [4]

*كان **مسلم بن يسار** يقول لأهله إذا دخل صلاته فى بيته " تحدثوا فلست أسمع حديثكم " وكان إذا دخل المنزل سكت أهل البيت فلا يسمع لهم كلام وإذا قام يصلى تكلموا وضحكوا !! " [5]

---

(1) الزهد/ 200
(2) صفة الصفوة -ابن الجوزى/ /248/2
(3) السير /2367/5/
(4) المنتظم -ابن الجوزى/277/5/
(5) صفة الصفوة / 299/2 . .

وصية

يا صاح قبل نومك كل يوم اسجد لله سجدة، تتوجه إليه بالشكر واحمده على كل حال ليهبك الله القلب الشاكر . .

وسؤال لك

كم سجدة سجدتها بطمأنينة قلبية وتفكرت في موقفك وأنت ساجد لربك وهو مطلع وعالم ؟!

وإن لم تجرب هذه الصورة . . فدع القراءة . . ونفذ الآن ونلتقي بعد هذا الفاصل . .

أرى عينك تصدق كلامي ..

وإن لم تتأثر فلعل هذا ما يؤخر عنك هذه اللذة .

عدم تفكرك في أمر آخرتك .

أداء العبادات كعادات لا روح فيها .

التعلق بزينة الدنيا والشهوات .

الانشغال بما لا ينفع .



وقبل السلام

سجدات المحراب

من أعظم النعم لو كنا نعقل هذه الصلوات وتلك السجدات كل يوم وليلة . . كفارة لذنوبنا ورفعة فى درجاتنا عند ربنا . . وعلاج عظيم لمآسينا . . ودواء ناجع لأمراضنا . . أما الذين تعجبك أجسامهم . . وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى . . ولا يذكرون الله إلا قليلا . . ولا يقفون بين يدى ربهم إلا وهم كارهون . . وإذا سجدوا لا يسجدون إلا وهم لها يستثقلون . . فهم أضعف شىء عن الطاعات وفعل الصالحات . . ولكنهم أقوياء ولكن فى اقتطاف الشهوات . . وتصيد اللذائذ . . وركوب سفينة الغارقين . .

إن الله لا ينظر إلى صورنا ولا أجسامنا ولكن ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا . . فلا يغرك جسم لا قلب فيه . . وهيكل لا روح فيه . . وجثمان لا حياه به . . لان المسألة مسألة إيمان وصلاح . . لا لحم وعظم . . أو شحم ودم .

انتباه .. أتبيع بلا ثمن ؟!

إلى من يطلبون النجاة . . إلى من يسعون لفكاك الرقاب من العقاب . . هكذا سجدت القلوب . . وهكذا تذللت الجباه . . ولهذا طابت لهم الحياة . . فيا من تتكبر على ربك فلا تقدر أن تسجد له وأنت تفترش أرضه وتلتحف سماءه . . ويا من تجحد النعم ولا تنال منك إلا السخط والتمرد فتستدعى عليك عجلة النقم . . يا من قطعتم حبالكم عن ربكم وأوثقتموها بدنياكم . . ويا من فرقتم ظلكم عن نهج المصطفى والتزمتم عصيانكم . . ورضيتم بسىء أحوالكم . . لا همة فى الطاعة . . ولا توبة نصوح . . ولا خشوع فى العبادة . . ولا مغامرة مع الجنة . . ولا صولات ولا جولات مع كتاب ربكم . .

أقـول لـك :

مثل نفسك فى زاوية من زوايا جهنم وأنت تبكى أبدا ولا تجد من يكفكف دمعك . . أبوابها مغلقة وسقوفها مطبقة . . وهى سوداء مظلمة . . لا رفيق تأنس به . . ولا صديق تشكو إليه . . لا نوم بريح . . ولا شيء يريح . .

قال كعب " **إن أهل النار ليأكلون أيديهم إلى المناكب من الندامة على تفريطهم وما يشعرون بذلك** "[1] . .

أما سمعت مناجاة سيد الفتيان **على بن أبى طالب** رضي الله عنه " يا من أعززت أنفسنا بتأييد إيمانك لا تذلنا بين أطباق نيرانك "[2] .

ألا تجدد العهد ؟ ألا تصحح الباقى ؟ ألا توفى بالوعد ؟ ألا تلحق بالركب ؟

فلم يبق فى عمرك إلا القليل

وأمر الله غاد ورائح !!

همسة

صافحك عطاء الخرسانى " ما من عبد يسجد لله سجدة فى بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت "

يا صاح : أبكى الأرض كلها لفراقك .

اغــــتنــم ركــــعـــــتـــين زلفـى إلى الله

إذا كنـــت فــارغــــامـــســـتــريـحــًا

وإذا مـــا هـمـــمت بالـنطق بالبـــاطل

فــاجــعـــل مكــــانه تـسـبـيـــحــًا

فـــاغــــتنام السكوت أفـــضــل من

خـــوض وإن كنت بالكلام فــصـــيـــحًــا



(1) الزهد لأحمد .

(2) الكبائر - الامام الذهبي .



من الطارق ؟

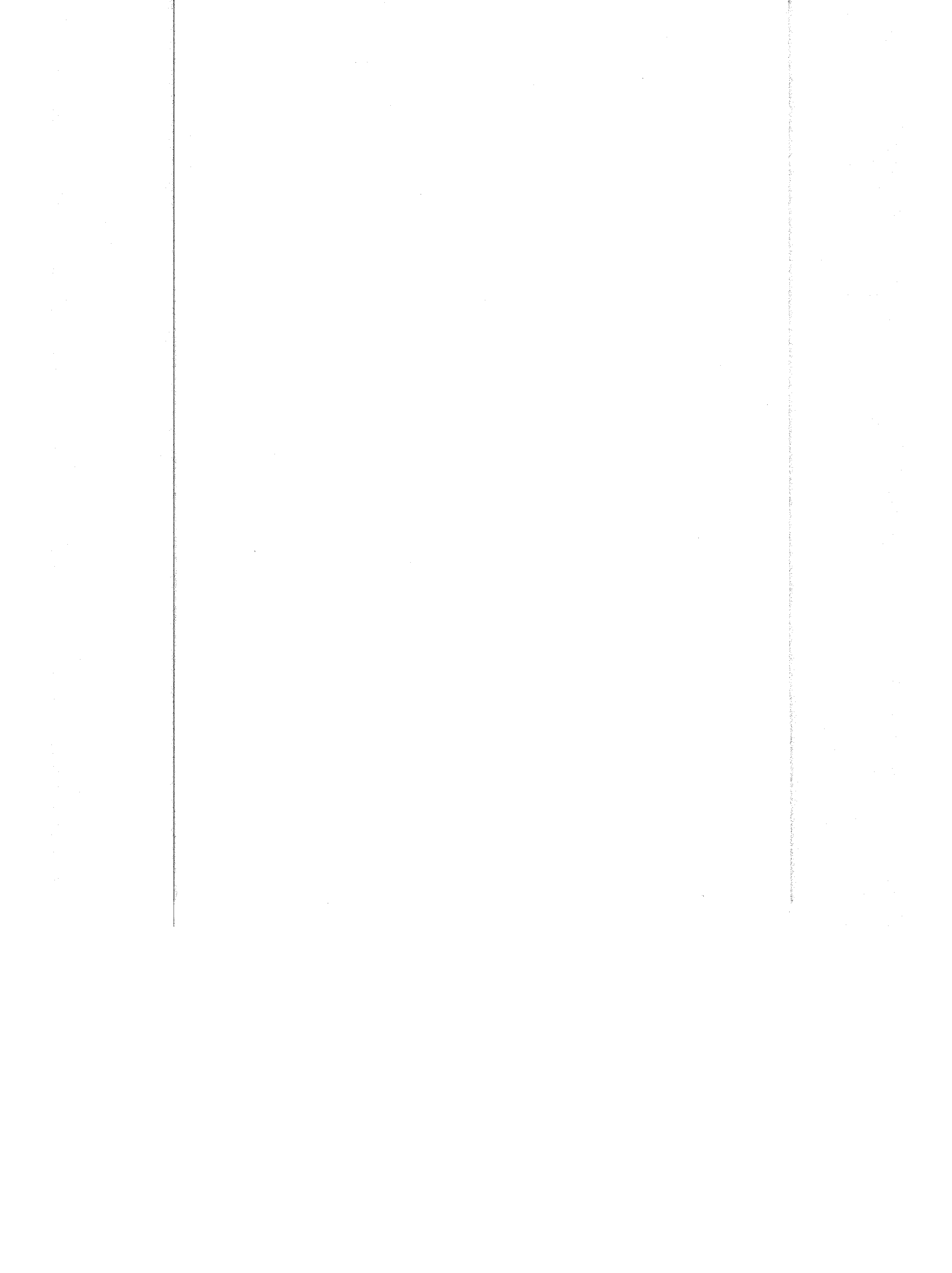


إذا نزلت بك النوازل ..أو ألمت بك الخطوب ..فاهتف باسمه .. واطلب مدده ..

لما سمع العابدون « فإنى قريب » ..رفعوا الأكف ونثروا شكواهم ..وهب السحر فتوفرت عطاياهم ..وكثر الاستغفار فحُطت خطاياهم .. وكلما طلبوا من فضل سيدهم أعطاهم ..فسبحان من اختارهم من الكل واصطفاهم ..وخلصهم بإلحاحهم من شوائب الحياة.. وصفاهم ..

فالح عليه.. والزم بابه.. وبالغ فى سؤاله ..

وتبتل إليه تبتيلا .. يكن لك ما تريد...



لأنه الله

لأنه الله . . الذى علا فقهر وحكم فقدر . . واطلع فستر وعلم فغفر

لأنه الله . . رحمته غلبت غضبه . . ويدبر ملكه . . ويصرف خليقته .

لأنه الله . . يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء .

لأنه الله . . ما تسقط من ورقة إلا يعلمها . . ولا تُلفظ من همسة إلا يسمعها . . وما تدب من حركة إلا يطلع عليها .

لأنه الله . . يقضى ويحكم . . يقدم ويؤخر . . يعز ويذل . . يولى ويعز .

لأنه الله . . تُرفع إليه المسائل . . وتُصَّعد إليه الحاجات . . وتصعد إليه الأعمال . .

لأنه الله . . تحصى لديه الأقوال . . تكشف عنده الأحوال . . تعلق على توفيقه الآمال . .

لأنه الله . . يطعم الجائع . . يسقى الظمآن . . يكسو العارى . . ويرد الغائب . . ويهدى الضال ويعافى المبتلى .

لأنه الله . . ينصر المظلوم . . وينجى الملهوف ويعطى المسكين .

لأنه الله . . يكشف الكرب . . يزيل الخطب . . يسهل الأمر الصعب .

لأنه الله . . بنى السماء . . وبسط الأرض . . وقدر الأوقات . . وأوجد المخلوقات . . وأنت أحدهم

فإني قريب .. قريب .. وأجيب

عندما سأل أحد الصحابة النبي ﷺ : آلله قريب فأناجيه أم بعيد فأناديه فنزل الرد الرباني ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ**﴾[البقرة: 186] . .

قريب : أسمع فأجيب . . أعُطى البعيد والقريب . . ارزق العدو والحبيب . .

قريب : يغيث اللهفان . . ويشبع الجوعان ويسقى . . الظمآن ويتابع الإحسان

قريب : عطاؤه ممنوح . . وخيره يغدو ويروح . . وبابه مفتوح . .

قريب : فرجه فى لمحة البصر . . وغوثه فى لفتة النظر . .

قريب : دعا المذنبين للمتاب . . وفتح للمستغفرين الباب . . ورفع عن أهل الحاجات الحجاب . .

إنه الله القدير

" لما تلمحت تدبير الصانع في سوق رزقي بتسخير السحاب، و إنزال المطر برفق والبذر دفين تحت الأرض كالموتى قد عفن يتنظر نفخه من صور الحياة، فإذا أصابته اهتز خضراً وإذا انقطع عنه الماء مد يد الطلب يستعطي، وأمال رأسه خاضعاً، ولبس حلل التغير، فهو محتاج إلى ما أنا محتاج إليه من حرارة الشمس، وبرودة الماء ولطف النسيم» [1].

فيا أيتها النفس: التي قد اطلعت على بعض حكمه، قبيح بك الإقبال على غيره ثم العجب كيف تقبلين على فقير مثلك يناديني لسان حاله بي مثل ما بك يا حمام !! فارجعي إلى الأصل واطلبي من المسبب. ويا طوبي لك إن عرفتيه فإن عرفانه ملك الدنيا والآخرة "

هو العبادة

يقول ﷺ «**الدعاء هو العبادة**» [2] . . إذا صار الإنسان عبدًا لخالقه . . وتيقن ما خُلق من أجله . . ترجمت القلوب وأسدلت على الجوارح . . فيكون الدعاء أحد البراهين والأدلة الدامغة على صدق العبودية . . لهذا كان **الدعاء هو العبادة** . . حين ترتفع اكف الضراعة . . وتجرى الدعوات المباركات . . يتسرب إلى قلبك الحنين إلى ربه . . وكأنه يهمس فى أذنيك

عبدى ادعوني ..

وكأنه سبحانه يقول

" إن دعانى لضر كشفت، وإن دعانى لحاجة قضيت، وإن دعانى لمرض شفيت وإن دعانى لهَم كفيت ،

وإن دعانى لرزق أطعمت، وإن دعانى لدين أديت، وإن دعانى لذنب غفرت وصفحت،

وإن دعانى لعيب أصلحت، وإن دعانى لتوبة تقبلت، وإن أطاعونى كافئت وإن عصونى سترت، وإن أدبروا عنى ناديتهم ، وإن أقبلوا أدنيتهم ، وإن سألوا أعطيتهم "

(1)صيد الخاطر -ابن الجوزى/ 41 (2) صحيح



سلاح مهجور

قال ﷺ « **الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السماوات والأرض** »(1)

وقال ﷺ « **ألا أدلكم على ما ينجيكم من عدوكم ويدر لكم أرزاقكم : تدعون الله فى ليلكم ونهاركم فإن الدعاء سلاح المؤمن** » (2)

سلاح المؤمن . . إذا قسا القلب ولا حل . . وذهب العقل ولا رادع . . وتاهت النفس ولا مرشد . .

سلاح المؤمن . . إذا عزفت النفس عن الآخرة . . وترحلت فيما يسخط ربها . . فلا أثر لموعظة . . أو موقع لنصيحة . .

سلاح المؤمن . . إذا سيطرت الأحزان . . وحلقت أشباح الهموم . . وانتهت الأسباب الأرضية . . ولم يبق إلا مدد السماء . .

سلاح المؤمن . . إذا حلت النكبة . . واستحكمت الهزيمة . . وتخاذل الحكام . .

سلاح المؤمن . . إذا ضاعت الأبناء . . وعبثت الفتيات . . وانهدمت أركان الأسرة . . وعصت الزوجة زوجها . .

سلاح المؤمن . . إذا ضعفت الذاكرة وقل التحصيل . . وتلاشى التفكير . . وتأخرت دراسيًا

سلاح المؤمن . . إذا انكمشت اليد من ضيق الرزق . . وتلهفت لا لتماس عمل يوسع الحد فتزاحمت الوساطة . .

سلاح المؤمن . . إذا تمكن الإصرار على الذنب . . وزاغت العيون للنظرات . . ولا فائدة ولا مقوم

سلاح المؤمن . . إذا هاجمك الأعداء . . وبدأ العداء . . والتفت حول رقبتك الشكوك

سلاح المؤمن . . إذا ضاقت الفتاه ذرعًا من الحجاب . . وضاعت المروءة والحياء . . ومحاولات التصحيح عنوانها الفشل

(1) أبو يعلى فى مسنده والحاكم وقال السيوطى صحيح . (2) أبو يعلى

سلاح المؤمن . . إذا اشتد أذى الجار . . وود لو أن بيتك انهار . . ورمزه معك الأذى وسوء الجوار . .

سلاح المؤمن . . إذا استهزأ الأصحاب . . وابتعد الأحباب . . فأهملوا إنسانيتك . . ولوثوا شخصيتك . .

سلاح المؤمن . . إذا اعترضتك مشكلة . . ولم تدر كيف التصرف . . الجأ لربك واستفتيه . . وسله أن يوجهك . .

كل هذا لأن «**الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء**»(1)

2

ستنـال بغيتــك

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[البقرة: 186].

تولى الله الرد على هذا السؤال . . آية تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة ، والود المؤنس ، والرضى المطمئن ، والثقة الكافيه ، واليقين الشافى .

وفي ظل هذا الأنس الحبيب ، والقرب الودود ترى الاستجابة الروحية . . .

ولعلها تتندى على قلبك فتشرحه وتفتح مسامعه مما يزيد إقباله على ربه . . ولعل هذه التطوافه تنعش طيات روحك فاسمع يا حبيب القلب ﷺ «**إن الله حي كريم ، يستحى أن يبسط العبد يديه إليه فيردهما صفراً**» (2)

3

رحمة الله إليك

قال تعالى ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[الأعراف :56]

«فما دام العبد يلح فى الدعاء ويطمع فى الإجابة غير قاطع الرجاء فهو قريب من الإجابة ومن أدمن قرع الباب يُوشك أن يُفتح له » (3)

---

(1) أحمد والطبرانى وقال السيوطى حسن. (2) حسن .
(3) أسباب المغفرة -ابن رجب/ 18.

لذا قال ﷺ « **من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب، فليكثر الدعاء في الرخاء**» [1] . ويستعرض تلك العبارة **الإمام الحليمى** « المراد بهذا الدعاء فى الرخاء هو دعاء الشفاء والشكر، والاعتراف بالمنن وسؤال التوفيق والمعونة والتأييد والاستغفار لعوارض التقصير ، فإن العبد وإن اجتهد لم يعرف ما عليه من حقوق الله بتمامها .

ومن غفل عن ذلك فلاحظ له وكان ممن صدق عليه قوله تعالى ﴿**فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ**﴾[العنكبوت: 65] . .

والأولى أن يقال كان ممن صدق عليه قوله تعالى ﴿ **وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ**﴾[الزمر: 8] . .

وقوله تعالى﴿**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ**﴾[فصلت: 51] وقوله تعالى﴿**وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ**﴾[يونس: 12] [2]

4
غضب فدعاء فإجابة فمغفرة

ولعل حديث النبي ﷺ يفرحك « **والذي نفسي بيده إن العبد ليدعو الله تعالى وهو عليه غضبان فيعرض عنه ثم يدعوه فيقول الله تعالى لملائكته : أبى عبدي أن يدعو غيري فقد استجبت له** «ابن السني والحاكم . وتتبع سفيان الثوري نفس الأثر فاقتفاه ونصح «لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه فإن الله تعالى أجاب إبليس لما قال : **أنظرني إلى يوم يبعثون**» [3]

5
يرد القضاء ويصارع البلاء

قال ﷺ« **لا يغني حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة** » [4]

---

(1) حسن

(2) (تحفة الذاكرين-الشوكانى / 23) .

(3) (نزهة المجالس -الصافورى الشافعى/ ١٢٣)

(4) حسن

وقبل أن تسأل يجيبك **الإمام أبو حامد الغزالى** :

« اعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء ، فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض .

فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان .

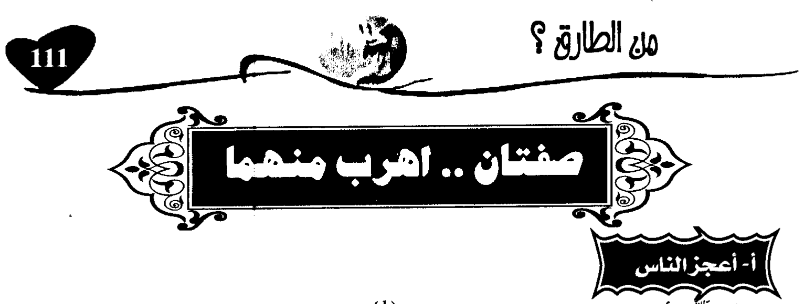
فكذلك الدعاء والبلاء يعتلجان »[1]

أفهمت أم اشرح لك ؟



---

(1) الإحياء /145/3 .



صفتان .. اهرب منهما

أ- أعجز الناس

قال ﷺ« **أعجز الناس من عجز عن الدعاء**» [1] .

أعجز الناس من احتمى بالناس . . أعجز الناس من يشتكى ربه للناس . .

فيا من كان له قلب فمات . . ويا من كان له وقت ففات . . استغث بمولاك . . ولا تعجز عن الدعاء . . فتكون أعجز الناس . . وأقلها أن تحضر فى السحر . . فإنه وقت الأذن العام . . واصطحب رفيق البكاء فإنه مساعد صبور . . وابعث رسائل الاعتذار وبرقيات الصلح وخطابات المناجاة . . لترتشف جرعة الشفاء . . وتنهل الدواء . . فتصير انشط الناس وأعبد الناس وأحسن الناس . . لذا ناداك بصيغة أخرى « **لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لن يهلك مع الدعاء أحد**» [2]

ب- يغضب الله عليه

قال ﷺ« **من لم يسأل الله يغضب عليه** » [3]

يغضب عليه :

لأنه تخلى عنه . . ورأى الفضل لغيره . . لأنه شاهد النعم ولم يشكر المنعم . . وأكل الثمر ولم يشكر الصانع . . وارتوى الماء ولم يحمد الراوى . . واستسقى من الرزق وأهمل الرازق . .

يغضب عليه :

لأنه نسيه فى حياته . . فكيف يعتكف العبد بعيدًا عن محرابه . . وكيف يثمر النبات بلا حرارة أو ماء أو هواء . . وكيف ينبت الثمر بلا راع أو غارس . . وكيف يرى النور أعمى . . أو يسمع عذب الكلام أصم . . أو يغرد الأناشيد أبكم . . معرفة الرب غرس فى القلب والتذكار ماء . . ومتى جفت المياه جفت الشجرات . . العقل ما ينسى إنما الحس مغفل . .

وسبب النسيان أمراض القلوب ..

---

(1) صحيح .　　(2) صحيح الحاكم .

(3)حسن

فيا من شاب وما تاب ولا أصلح . . يا معرضًا إلى ما يؤذى عن الأصلح . . ليت شعرى إذا نلت غضب ربك . . فبماذا تفرح ؟ ما أشنع نسيانك وهجرانك .

ألا يا ثقيل النوم . . يا بطيء اليقظة . .

أمـــا ينبـــهك الآذان ؟..

أمــــــا يلفت الكلام ؟

أم نخاطب أعجمى الفهم ..

ونحن من الصين !!..

يا مسكين ..

اسأل مولاك واشكره على ما هداك واهرب من فئة " **يغضب عليه** " وان لم تعد فتذكر موقفك وأنت تستغيث «**رب ارجعون**» .

فيقال " **كلا** "

ألا كان هذا قبل هذا !..

وهذا الإنذار «دليل على أن دعاء العبد لربه من أعظم الواجبات ، وأعظم المفروضات ، ويدل على أن ترك دعاء العبد لربه من الاستكبار وهذا الاستفهام " **من لم يسأل الله** " هو للتوبيخ ،

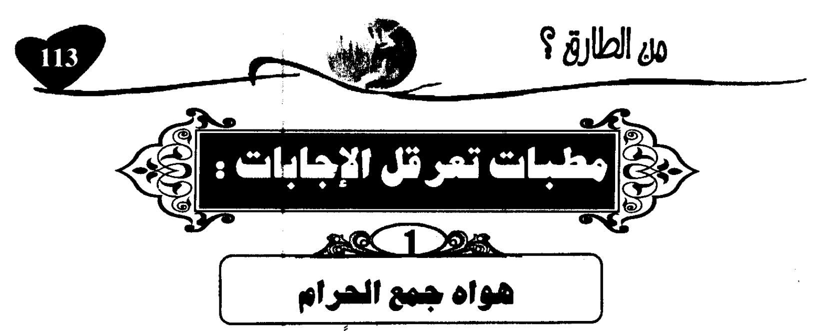
ومن هذا قوله ﴿**فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ**﴾[البقرة :186]. .

وأن هذا التعليل بالقرب ثم الوعد بعده بالإجابه يقطع كل معذرة ويدفع كل علة "[1]



---

(1)تحفة الذاكرين بتصرف يسير / 22 .



مطبات تعرقل الإجابات :

1

هواه جمع الحرام

قال ﷺ « يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ،وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر العبد يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء : يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب له » [1] . .

مطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، . .

فصارت حياته كلها حرام فى حرام . . فمن يدعو ؟ ومن يسأل ؟ وهو لم يدرى أن ربه يراه وعما قريب سيلقاه . . وأنكر وجود الملائكة الكرام ، الكاتبين عن اليمين والشمال . . فصارت الدنيا عنده متاهة . . وصار ذكر الجنة أو النار لديه لغة لاتينية ومراسم خيالية . .

فكيف يُستجاب له ؟

2

قلب لا يزال غافل

قال ﷺ « إن الله لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه» [2] . .

وارتشف من هذه الجرعة **يحيى بن معاذ** فخاف على نفسه لذا كان يناجى ربه **«اللهم لا تجعلنا ممن يدعو إليك بالأبدان ويهرب بالقلوب»** . .

ذلك لأن الدعاء فن لا يجيده إلا الفقراء . . ولا يُحسنه إلا العباد . . تحن إليه قلوب الطائعين . . وتشتاقه أفئدة العابدين . . فكيف لغافل . . لسانه يردد العبارات . . وقلبه سابح فى المشكلات . . وعقله يجوب البلاد . . أن يرفع منه الدعاء .

ذلك لأنك حين تقصد رئيسك فى العمل أو أستاذك فى الدراسة ترتدى أحسن الثياب وتنتقى أعذب الكلمات . . ويكون رسمك الأدب والاحترام . . كى يسمع لك . . ويلبى طلبك . . ويقبل سؤلك . .

فيا سبحان الخالق .. بشر يطلب من بشر هذا حاله .. فكيف حالك أنت مع رب البشر ؟

(1) مسلم (2) صحيح .



أفيقوا يـــا سادة

أتغفل وأنت الذى تريد ؟

أتغفل وأنت الطالب ؟

أتغفل وأنت الشاكى والباكى ؟

أتغفل وأنت المحتاج ؟

أتغفل وأنت التائه الذى يريد الدليل ؟

أتغفل وأنت الضائع الذى يناشد الهداية ؟

أتغفل وأنت الرابح يا قليل البضاعة ؟

لك الحديث يا مُعرض .. أنت المراد يا غافل ..

أما تمل الغفلة والبعد ؟ أما تقبح هجر الدعاء ؟ أما أنفت الغياب والجفاء ؟

أما من ظل على حاله لا يلتفت للكلام . . ولا يهفو للتغيير . .

فأقول له : لا يعرف البر إلا السائح . . ولا البحر إلا السابح . . ولا الزناد إلا القادح . . ولا الدعاء إلا عابد . .

والسلام



3

استعجال مرفوض

أذكرك بما قاله ﷺ« **لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل قالوا : يا نبى الله وكيف يستعجل ؟ قال : يقول : دعوت الله فلم يستجب لى**» [1]. .

ويشرح ابن رجب " نهى أن يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الإجابة، وجعل ذلك من موانع الإجابة، حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعائه " [2]

ولو طالت المدة فإنه سبحانه يحب الملحين فى الدعاء وجاء فى الآثار " إن العبد إذا دعا ربه وهو يحبه قال : يا جبريل لا تعجل بقضاء حاجة عبدى فإني أحب أن أسمع صوته» ويضع حجر الزاوية يزيد الرقاشى حين قال عن أنس مرفوعًا " **ما من عبد يقول : يا رب يا رب يا رب إلا قال له ربه :**

لبيك لبيك [3]

وأقتل الموضوع بحثًا بقول يحى عندما رأي ربه في المنام فقال : يا رب كم أدعوك ولا تجيبني ؟! فقال : يا يحى إني أحب أن اسمع صوتك !! . .

وأنت يا مقصر : ألا تحب أن يسمع الله صوتك ؟!...

نحن ندعو الإله فى كل كرب
ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة الدعاء
وقد سددنا طريقها بالذنوب

قف.. واحذر

* قال ﷺ « **لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم** » [4]

مجرى ممجري من ثلاثة ثلاثة

وهو ما لخصه النبي ﷺ في قوله « **ما من داع يدعوا الله إلا أتاه بها إحدى ثلاث : إما أن**

---

(1) صحيح .
(2) أسباب المغفرة / 6
(3) جامع العلوم والحكم
(4) صحيح .

يجعل له حاجته وإما أن يعطيه من الخير مثلها وإما أن يصرف عنه من الشر مثلها » [1] . .

" وسبب صرف الإجابة عن العبد من رحمة الله تعالى بعبده ، أن العبد يدعوه بحاجة من الدنيا فيصرفها عنه ويعوضه خيراً منها : إما أن يصرف عنه بذلك سوءاً أو يدخرها له في الآخرة أو يغفر له بها ذنبا " [2]

ردود وتساؤلات:

س1 : **يتطرق إليك إبليس ليغيم عليك بسحب الحزن وتتساءل مالي أدعو ولا يستجاب لي ؟!..**

ج1 : ويرد **ابن الجوزى** باسلوبه المقنع البديع « رأيت من البلاء العجاب ، أن المؤمن يدعو فلا يجاب فيكرر الدعاء وتطول المدة ولا يرى أثر الإجابة ، فينبغي له أن يعلم أن هذا البلاء يحتاج إلى الصبر وربما رأيت الشيء مصلحه والحق أن الحكمة لا تقتضيه ، وقد يكون التأخير لآفة فيك ربما يكون فى مأكلك شبهة أو قلبك وقت الدعاء فى غفلة أو تزداد عقوبتك فى منع حاجتك لذنب ما صدقت فى التوبة منه . . وربما كان فى حصوله زيادة فى الإثم ، أو تأخير عن مرتبة خير فكان المنع أصلح وربما كان فقد ما تفقده سبباً للوقوف على الباب ، واللجأ إلى الله ، وحصوله سبباً فى الانشغال عنه »[3]

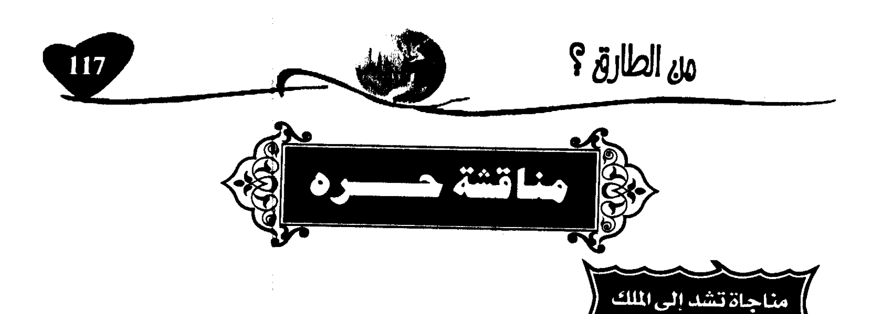
س2 : **فإنه نزلت بي نازلة فدعوت فلم أر الإجابة ؟**

ج2 إذا أخذ إبليس يجول في حلبات كيده فقال : كم تدعوه ولا ترى إجابة ؟

" **فقل له** : أنا أتعبد بالدعاء وأنا مؤمن أن الجواب حاصل ، فإياك أن تسأل شيئاً إلا وتقرنه بسؤال الخير فرب مطلوب من الدنيا كان حصوله سبباً للهلاك " [4]



(1) الترمذي .
(2) أسباب المغفرة / 8
(3) صيد الخاطر / 58-59 بتصرف .
(4) خواطر الفجر / 373



مناقشة حره

مناجاة تشد إلى الملك

سَهَّل لك الأمر سهل بن عبد الله « خلق الله تعالى الخلق وقال : ناجوني، فإن لم تفعلوا فانظروا إليَّ فإن لم تفعلوا فاسمعوا مني . . فإن لم تفعلوا، فكونوا ببابي، فإن لم تفعلوا فأنزلوا حاجاتكم بي » . .

*كان داود إذا دعا في جوف الليل يقول : « نامت العيون وغارت النجوم وأنت حي قيوم اغفر لي ذنبي العظيم فإنه لا يغفر الذنب العظيم» إلا العظيم . . إليك رفعت رأسي نظر العبد الذليل إلى سيده الجليل» .

* كان من دعاء يوسف " يا عُدتي عند كربتي، ويا صاحبي في غربتي، ويا غايتي عند شدتي، ويا رجائي إذا انقطعت حيلتى، اجعل لي فرجًا ومخرجاً " .

* كان عبد الله بن ثعلبة البصري يقول «اللهم أنت من حلمك تُعصى وكأنك لا ترى، وأنت من جودك وفضلك تُعطي وكأنك لا تُعطي ، وأي زمان لم يعصك فيه سكان أرضك فكنت عليهم بالعفو عواداً وبالفضل جَوَاداً» .

* كان من دعاء علي بن الحسين « اللهم إني أعوذ بك أن تُحسن في مرأى العيون علانيتي وتقبح في خفيات القلوب سريرتي اللهم وكما أسأت فأحسنت إلي إذا عدت فعد علي وارزقني مواساة من قترت عليه ما وسعت علي " . . [1]

الدعاء والهمة العالية

قال النبي ﷺ «إذا دعا أحد فليعظم الرغبة فإن الله لا يتعاظمه شئ » [2] . . ولهذا نهى العبد أن يقول فى دعائه " اللهم اغفر لى إن شئت ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له "

إن الحبيب ﷺ بهذا الحديث يضيف إلى الأذهان أن الدعاء ليس ترديد كلمات أو سرد عبارات ، بل إنه يحتاج لهمة عالية ويقظة دائمة .. نعم أخى .. نعم أختاه .. يريد همة عالية فلهذا عَظِم المسألة . . ادعوا الكبير . . وناج المهيمن . .

---

(1) العقد الفريد (2) صحيح .

أخوتاه . . اتخذوا الدعاء حرفة لكم، وافتحوا معه للقلوب طريقًا، ولا تتعمدوا ترتيب الألفاظ أو تهـذيب الثناء . . فـأنت تدعـوا ربك . . الذى يعلم بحـالك . . ويلم بأمرك فى كل صغيرة كانت أو كبيرة . .

أخى .. أختـاه . . أقـول لك انفـتح مع ربك فى الدعـاء . . اهدم الحـواجـز وأذب الصخور واعبر الجسور . . فلا أحد يسمعك إلا هو . . ولا شخص يكتب ما تقول . . فادعوا بأسلوبك . . بألفاظك . . بكلماتك . . لا تعرقل الطريق بالسجع أو النثر . . لأن ما تقوله لن يُنشر فى كتاب . . ولن تقام له الألحان فى شريط . . ولن يلقى فى ندوة أو ينثر فى محاضرة . .

بل أنت الذى تدعوا . . فادع بما تشاء وكيفما تشاء ووقت ما تشاء . . وليس من شروط الإجابة أن تكون خطيبًا جهوريًا، أو شاعرًا مفوهًا أو مطربًا مغردًا . . لا والله . .

فالله يحبك أنت ويسمع دعاءك أنت .. فاقبل نفسك كما هى ..

وصدقنى حينئذ رزقت قلبا منيرا وروحا طاهرة ونفسا زكية وإجابة مرضية.





حين يستجيب الرب

1
وصفة ابن عطاء

يقول ابن عطاء «الدعاء أركان وأجنحة وأوقات وأسباب . . فإن وافق أركانه قوى وإن وافق أجنحته ارتفع . . وإن وافق أوقاته فاز . . وإن وافق أسبابه نجح . . فأركانه حضور القلب مع الله تعالى والخشوع لله والحياء من الله ورجاء كرم الله ، وأجنحته الصدق وأكل الحلال وأوقاته أوقات الفراغ والخلوة كالأسحار ، وأسبابه الصلاة على النبي ﷺ فإن الدعاء لا يرد إذا كان قبله وبعده الصلاة على النبي ﷺ »(1)

2
انتهاز الأوقات

" **إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ؛ وذلك كل ليلة** " (2) . . والأوقات بين الآذان والإقامة . .

3
الثناء والحمد والصلاة

أرشدك **عبد الله بن عباس** " إذا دعوتَ الله فاجعل في دعائك الصلاة على النبي ﷺ فإن الصلاة عليه مقبولة ، والله أكرم من أن يقبل بعض دعائك ويرد بعضاً " (3) . . وكذا اخفض صوتك لحديثه ﷺ «**أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً**»(4)

يا أخانا: نظف طرق الإجابة من أوساخ المعاصي ، وانظر فيما تطلبه هل هو لإصلاح دينك أو لمجرد هواك ؟

كن في الحاجة بين يدي ربك كالطفل الصغير يكن لك ما تريد ..

---

(1) طهارة القلوب / 329 .
(2) صحيح .
(3) العقد الفريد
(4) صحيح .

4

الحضور والوعى

حضور القلب وعلى يقين بالإجابة مع صدق التوكل ولذلك نادى مورق بن العجلى " ما وجدت المؤمن إلا مثل رجل فى البحر على خشبة فهو يدعو : يا رب يا رب لعل الله عز وجل أن ينجيه

فعن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال « إن هذه القلوب أوعية فبعضها أوعى من بعض، فإذا سألتم الله فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاء من ظهر قلب غافل » (1)

5

كى يسلم الطريق

وانهل من عصاره تجربه الشيخ العلامة أبى عبد الله بن على بن هماء« تجنب الحرام مأكلاً ومشربًا وملبسًا ، والإخلاص لله ، وتقديم عمل صالح ، والوضوء واستقبال القبلة ، والثناء على الله والصلاة على نبيه أولاً وآخراً، وبسط يديه حذو منكبيه ، والخشوع والمسكنة والخضوع ، وان يسأل الله بأسمائه العظام والأدعية المأثورة ، ويعترف بالذنب ويبدأ بنفسه ، ويسأل بعزم ورغبة وجد واجتهاد ويحضر قلبه ويحسن رجاءه ويكرر الدعاء ويلح فيه ولا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم ولا بأمر قد فرغ منه ولا بمستحيل ، ويسأل حاجته كلها ويمسح وجهه بيديه بعد فراغه ، ولا يستعجل أو يقول دعوت فلم يستجب لى " (2)

6

وصية من البنا

ينصحك الإمام حسن البنا « يا أخى لعل أطيب أوقات المناجاة أن تخلو بربك والناس نيام، وقد سكن الكون كله، وأرخى الليل سدوله وغابت نجومه، فتستحضر قلبك وتتذكر ربك وتتمثل ضعفك وعظمة مولاك ، فتأنس بحضرته ويطمئن قلبك بذكره وتفرح بفضله ورحمته وتبكى من خشيته ، وتشعر بمراقبته، وتلح فى الدعاء، وتجتهد فى الاستغفار،

---

(1) مسند أحمد.

(2) تحفة الذاكرين / 34.

وتفضى بحوائجك لمن لا يعجزه شيء ، ولا يشغله شيء عن شيء إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وتسأله دنياك وآخرتك وجهادك ودعوتك وأمانيك ووطنك وعشيرتك ونفسك وإخوانك » [1]

7 جـــدد إيمـانـــك

روى النسائى عن يعقوب بن عاصم عن رجلين من أصحاب رسول الله أنهما سمعا النبى ﷺ يقول **«ما قال عبد قط : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .. مخلصاً بها روحه ،مصدقاً بها قلبه ،ناطقاً بها لسانه ،إلا فتق الله له السماء فتقاً حتى ينظر إلى قائلها من الأرض ! وحق لعبد نظر الله إليه أن يُعطيه سؤله »**[2]

8 عــلامـــة شـــوكـــانيـــة

انظر حال **الإمام الشوكانى** « علامة استجابة الدعاء الخشية والبكاء والقشعريرة، ويكون عقيبه سكون القلب ، وبرد الجأش، وظهور النشاط باطنًا والخفة ظاهرًا، حتى يَظُن الداع أن على كتفيه حُلة ثقيلة فوضعها عنه وحينئذ لا يغفل عن التوجه والإقبال والصدقة والأفضال ، والحمد والابتهال وأن يقول الحمد الذى بنعمته تتم الصالحات » [3]



9 ختــامـــه مســـك

قال ﷺ **«إذا سأل أحدكم ربه مسألة فعرف الإجابة، فليقل : الحمد الله الذى بعزته تتم الصالحات، ومن أبطأ عليه من ذلك ، فليقل الحمد لله على كل حال »** [4] .

---

(1) رسالة المناجاة - حسن البنا/ 12 .

(2) النسائي .

(3) تحفة الذاكرين / 58

(4) البيهقى .



من الطارق؟

*كان **صالح السرى** يقول كثيرًا « من أدمن قرع الباب يوشك أن يُفتح له، فقالت له رابعة : إلى من تقول هذا ؟ متى أغلق الباب حتى ينفتح؟!

فقال **صالح** : شيخ جهل وامرأة علمت» . .

* وهو حال **يحيى بن معاذ** «إلهي كيف أدعوك وأنا عاص ؟ . . وكيف لا أدعوك وأنت كريم ؟ !! " . .

* ورأى حالك **محمد الكتاني** فقال " لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة، إلا لفتح باب المغفرة " . .

*ويزيدك **ثور بن يزيد** « إذا وقف السائل على الباب وقفت الرحمة معه ، قبلها من قبلها وردها من ردها ومن نظر إلى مسكين نظر رحمة نظر الله إليه نظرة رحمة، ومن أطال الصلاة خفف الله عنه القيام يوم القيامة (**يوم يقوم الناس لرب العالمين**)، ومن أكثر الدعاء قالت الملائكة : صوت معروف، ودعاء مستجاب، وحاجة مقضية »[1]

* لما صاف **قتيبة بن مسلم** الترك هاله أمرهم فقال : أين **محمد بن واسع** ؟ فقيل : هو في أقصى الميمنة ، جانح على سيفه وقوسه ، يومىء بإصبعه نحو السماء ، فقال **قتيبة** : تلك الأصابع الفاردة أحب إليَّ من مائة ألف سيف شهير وسنان طرير، فلما فتح عليهم قال له : " ما كنت تصنع ؟ قال **ابن واسع** : آخذ لك بمجامع الطرق»[2]

صيدلية خاصة

يقول صاحب الحدائق « إذا شكوت من قسوة قلبك وإعراضه وغلظته ولهوه، فعليك بترياق ومرهم معروف، ودواء شهد بنفعه الرسل عليهم السلام، ونصح به الصالحون وحمده المجربون، إنه الدعاء فلا مثل للدعاء أبدًا، فاستمر عليه وأكثر منه، وادع بصلاح قلبك وعملك خاصة في السجود وأدبار الصلوات وساعة الجمعة بإخلاص. وحضور فسوف تجد في قلبك من الرقة والخشية والإنابة خاصة إذا أدمنت الدعاء ،وأكثرت في المسألة، وألححت في الطلب ، فلا صلاح إلا من عنده ولا نفع إلا من هناك » ﴿**ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر :60]

---

(1) مع العارفين / 98 .

(2) منهج التابعين في تربية النفوس/ 108 .

وقبل السلام

يا صـاح :

داوم طرق باب الله يومياً ، ولا تحرم نفسك فيوض هذه اللحظات الربانية ، التي يتذوق فيها الإنسان مدى قربه من مولاه ومدى قرب مولاه منه ، لا تضيع هذه الفرصة التي تغيظ بها شيطانك لوصولك إلى الله بأسهل الطرق ! ! . . و اجعل فى دعائك نصيب لإخوانك المجاهدين . .

ما لنا لا يستجاب لنا ؟!

مر **إبراهيم بن أدهم** بسوق البصرة فاجتمع إليه الناس فقالوا له :

يا أبا **إسحاق** ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟!

قال : لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء :

الأول : عرفتم الله تعالى فلم تؤدوا حقه . .

والثانى : زعمتم أنكم تحبون رسول الله ﷺ وتركتم سنته . .

والثالث : قرأتم القرآن ولم تعملوا به . .

والرابع : أكلتم نعمة الله ولم تؤدوا شكرها . .

والخامس : قلتم إن الشيطان عدوكم ووافقتموه . .

والسادس : قلتم إن الجنة حق ولم تعملوا لها . .

والسابع : قلتم إن النار حق ولم تهربوا منها . .

والثامن : قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له . .

والتاسع : إذا انتبهتم من النوم اشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم . .

والعاشر : دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم »[1] . .

---

(1) طهارة القلوب / 331-232 .



هزات إيقاظ

أخي حبيب رسول الله . . لا تترك فرصة للشيطان ليثبطك عن الدعاء، وأطرح عليك سؤالاً :

هل أنت الذي تريد أم من الذي يريد ؟!..

اعلم أخي أن الله هو الذي يختبرك وليس أنت . .

ويروى لك مفتى مكة التابعى الجليل **عطاء بن رباح** عن صاحبه **طاووس قوله** " قال لى طاوس : **يا عطاء لا تُنزلن حاجتك بمن أغلق دونك أبوابه ، وجعل عليها حجابه ،**

ولكن أنزلهـا بمن بابه مـفـتـوح لك إلى يوم القيـامـة أمـرك أن تدعـوه وضـمـن لك أن يستجيب "[1]

وطمئنك حبيب قلبك ﷺ «**من أُعطى الدعاء لم يحرم الإجابة**» ومن منطلق هذا أخبرك أمير المؤمنين عمر « إنى لا أحمل هم الإجابة بقدر ما أحمل هم الدعاء»[2] . .

همسة :

قال لقمان لابنه : « يا بنى عود لسانك الاستغفار، فإن لله ساعات لا يرد فيهن سائلاً وقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار بقوله ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ﴾ [محمد: 19]



(1) صفة الصفوة / 287/2.
(2) مع العارفين / 9.

العلامة الرابعة





ياهذا .جسدك كالناقة يحمل راكب القلب ، فلا تجعل القلب مستخدماً في علف الراحلة فإن قلبك يتظلم من سوء عملك وكثرة سهوك .. فقد امتلأت به خربات القسوة ومزابل التفريط وشربته من كأس الغفلة ..فإذ أردت لحاق السادة فاترك على الفور الوسادة وشيد بقلبك (الخشوع) ..

فهذا هو الدواء.. فإذا تناولته ثم مت فمكانك حتماً « في مقعد صدق عند مليك مقتدر» ..

لذَّ نعيمهم وطاب .. ودار تكريمهم وزال العتاب .. ونجوا من ورطات الحساب ،فاشرقت ديارهم وفتحت لهم الأبواب .





الخشوع هو

قال ابن رجب « الخشوع هو لين القلب ورقته، أو سكونه وخضوعه وانكساره وحرقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء لأنها تابعة له » . .
ونادى ابن عباس من يلتفت حوله منبهًا«الخشوع فى الصلاة أن لا يعرف المصلى من على يمينه وعن شماله » [1]

ونبه عمر بن الخطاب قائلاً " إن الرجل ليشيب عارضاه ، في الإسلام وما أكمل من صلاة »[2] . . أى لا يتم خشوعها . .

فلا إتقاناً فى الحركات، أو إدراكاً للآيات ، أو تقويمًا فى الأخلاقيات . . أو تأملا فى الدعوات . . فيستوعب عمره ويقطع مشوار حياته وظنه أنه يصلى . . وأنه أحرز سبق القبول وهو عند ربه شاب عارضاه . . وما أكمل له من صلاة . .

أما علم أن الصلاة ليست هذه .. وأن الطريق ليس من هنا ..



1-خشوع الإيمان :

يُعَرفه ابن القيم « خشوع القلب لله بالتعظيم والمهابة، فينكسر كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء وشهود نعمه فيخشع، فيتبعه خشوع الجوارح»

لذا فالخشوع ليس حكرًا على إقامة بعض الركعات . . أو الحفاظ على الحركات وحسب . . بل هو غرسَ فى القلب، له ثمرة حلوة تزدهر فى النفس وتسمو بالروح وتمتطيها الجوارح . . ولكنها تبلغ ذروتها عبر جسر الصلاة، أو عند الترنم بالأسحار، أو وقت الخلوة مع القرآن . .

2- خشوع النفاق :

كان بعض الصحابة يقول " أعوذ بالله من خشوع النفاق : قيل : وما خشوع النفاق؟ . . قال : أن يُرىَ الجسد خاشعاً والقلب غير خاشع " . .

(1)الخشوع في الصلاة / 6 . (2) مختصر منهاج القاصدين.

وهذا حال فئة من الناس . . حين يصلى فى المسجد ويعلم بمن يراقبه أو يُلقى بنظره إليه . . يتجمل فى صلاته . . ويرتدى ثوب الخضوع والإخبات . . ويغمض عينيه . . وتسكن جوارحه . . وتهدأ أنفاسه . . وتمتد سجداته . . وكأن جسده يقطر خشوعًا . . وقلبه يعتصر تدبّرا . . وعقله سابح حول العرش . . أما حين يُغَضُ الطرف عنه أو يلتقطها فى بيته . . فيلتفت من حوله كروغان الثعلب . . وينقرها نقر الديكة . . وبصره على ما يحيطه أبصر من العقاب . . وهرول فيها هرولة الغزلان . .

فما أسرع إسفافها . . ومسابقة الزمان . . وتدافع الأنفاس فيخرج منها وما تعرف على ربه لحظة !! . .

علم ابن الجوزى حالهم فقال لهم منبهاً

« إما أن تصلى صلاة تليق بمعبودك ، وإما أن تتخذ معبودا يليق بصلاتك»

فوضعناها لك فى هذا الإطار

للخاشعين فقط :

* قال ﷺ« **إذا قال أحدكم : آمين ؛ وقالت الملائكة فى السماء : آمين ؛ فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه**»(1)

*قال ﷺ« **إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ؛ فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه** » (2)

أسوأ الناس

لا تضحك على نفسك . . واحذر " **أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته لا يتم ركوعها ولا سجودها** "(3) . .

حديث خطير . . فكم من سورة فاتحة قرأناها بلا تدبر ؟ كم من ركعة وسجدة مرت دون شعورك بها ؟! أين سبحان ربى العظيم وأين سبحان ربى الأعلى من قلبك ؟! ...

أخى .. أختاه ..

أريد دق أجراس الانتباه لما مر . . **أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته** . . تخيل

---

(1) صحيح . (2) صحيح (3) أحمد والحاكم

يسرق من صلاته . . لقبه النبى " **أسوأ الناس** " فما بالك بعبد خاصم ربه ولا يصلى . . وربما يعرف طريق المسجد . . ومُوَلى وجهة قلبه إلى الدنيا وحسب . . وليس لديه للصلاة متسع . . وليس للوقوف أمام ربه متبع . . ولا لخوض تجربة دخول النور لقلبه مكان . . فاسمع يا من أبعدته الخطايا عنهم . . لابد والله من قلق وحرقة ، وعزم ونية ، وصلاة وقرآن إما فى زاوية التعبد . . وإن لم يكن ففى هاوية الطرد . .

أما آن لك أن تحرق قلبك بنار الندم على هذا التقصير ؟ و**الخوف من سؤ المصير** ؟ وإلا فنار جهنم أشد حرًا . . لذا نادى بعضهم **يوسف بن أسباط** « يا معشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض ، فما بقى أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده ، وقد حيل بينى وبين ذلك » . .

الخشوع المفقود

أرهبنا **حذيفه** " أول ما تفقدون من دينكم الخشوع ، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة ، ورب مُصَلّ لا خير فيه ويوشك أن تدخل مسجد الجماعة فلا ترى فيهم خاشعاً "[1]وهو ما أكده من قبل الحبيب ﷺ« **أول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع حتى لا ترى فيها خاشعا** »[2] . . **ما تعليقك ؟!....**

يا كسول . . لقد ربح الخاشعون وأنت نائم . . وكسبوا ورجعوا بالغنائم . .

يا هذا . . ما الذى يغنى عنك وقوفك بالمحراب وقلبك من التقوى خراب ؟ . . وعملك كالسراب ؟ . .

إصرارك على الغفلة والضياع كالصحيحين !!..

أما خبر خشوعك وانكسارك وانتباهك فحديث موضوع !!..

فيا هذا . . الأجر لا ينال إلا بالتعب . . والربح لا يُدرك إلا بالطلب . .

عتاب لا عقاب

فيا أرباب القلوب القاسية : لا تيأسوا من روح الله ومع التعلم والتصبر والتدرب ، سيخشع القلب وتمطر العين . . " فالخاشع لله هو عبد قد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره فانجلى الصدر وأشرق فيه نور العظمة ، فماتت شهوات النفس للخوف

---

(1) مختصر منهاج القاصدين .

(2) صحيح .

والوقار الذى حُشى به، وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمأن إلى الله وذكره بالسكينة التى نزلت عليه من ربه فصار مخبتًا له . . فالقلب المخبت قد خشع واطمأن، كالبقعة المطمئنة من الأرض التى يجرى فيها الماء فيستقر فيه وعلامته أن يسجد بين يدى ربه إجلالًا له ، وذلاً وانكسارًا بين يديه ، سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه»[3] . .

هل اشتقت ؟ .. ونويت ؟ .. واستعددت ؟ إذن هيا إلى التنفيذ والعمل



(1) الروح – ابن القيم/ 314 .



معا نتعلم الخشوع :

خطوات قبلية

1- أحسن وضوءك :

وهو بداية موفقه للخشوع في الصلاة ، فما صلح شيء إلا بصلاح أوله وكما قال ﷺ« **طهروا قلوبكم للقرآن**»(1) **إسناده جيد** . .

وتسلى بهدية الوضوء . . قال ﷺ «**إذا توضأ العبد المسلم - أو المؤمن- فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء . . فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء . . فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء ؛ حتى يخرج نقياً من الذنوب** » (2) . .

وإلى من يشتكون برد الماء وقسوة الشتاء . . اسمعوا وعوا فعن **حُمران قال دعا عثمان بن عفان** بوضوء وهو يريد الخروج إلى الصلاة في ليلة باردة ، فجئته بماء فغسل وجهه ويديه فقلت : حسبك، والليلة شديدة فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﷺ « **لا يسبغ عبد الوضوء إلا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر** »(3)

ومن ألطف ما أدركه عقلي أن أستغل الوضوء، وأجعله وسيلة فعاله في ارتفاع مؤشر الإيمان وتنمية منسوب الخشوع . . وإن كان ذلك لم يرد عن النبي ﷺ ولكنه اجتهاد مع النفس عساها تربط على القلوب . . وتحصل ما نريد . .

فإذا اتجهت للمضمضة . . فتعلق بالشرب من زمزم . . والشُرب من حوض الحبيب ﷺ شربة لا ظمأ بعدها . . وان يهذب الله لسانك فلا يقول فيما يرضاه لفظة أو يجلب السخط على صاحبه ولو في سهوة . .

وعند الاستنشاق . . ما أحلى تعلق الجنان بهبي يا ريح الجنة . .

وعند إهدار الماء على الوجه أبرز القاعدة ﴿ **يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾[آل العمران: 106] . . فاللهم بيض وجوهنا . . وتذكر نظرك إلى الرحيم الرحمن حين تحلق في الجنان . . وعند غسل الذراعين " **فأما من أوتى كتابه بيمينه**" والصفة المعاكسة " **وأما من أوتى كتابه بشماله** "

(1) إسناده جيد . (2) مسلم . (3) رواه البزار بإسناد حسن

ثم الذهاب للرأس . . اللهم استخدمها فى التفكير للإسلام وفى الدعوة إليك . .

وعند الأذن . . تلهف لان تسمع أذناك خبر دخولك الجنة وهمس ربك فى أذنيك " عبدى إنى راض عنك فهل أنت راض عنى؟ " . .

ولن أتركك حتى أعطيك المفاجأة الربانية فقد روى « **أن أهل الجنة يقرأ عليهم الله عز وجل سورة الرحمن**» فتخيل نفسك وأنت مضجع مع الصحب الكرام وأنت أختاه مع الحبيبات **عائشة وفاطمة وخديجة** وربك يقول " **الرحمن .. علم القرآن** . . فاللهم لا تحرمنا هذا المكان . . **ثم القدمين** فاللهم استعملهما فى كل خير وارزقهما فلاحًا عند المرور على الصراط . . وأن أطأ بهما المسجد الأقصى وأدلف بهما الفردوس الأعلى ، وخذ بحجزهما عن النار . . فأعتقد أن تعاملك مع الوضوء بهذه التطوافة ومن يزد أو يضف فله مطلق الحرية ، يؤهل دخول على الله . . فتشعر بالحنين إلى الصلاة . .

وكان هذا التهيؤ قبل الصلاة واضحًا عند**كثير بن عبيد الحمصى** الذى أمَّ أهل حمص **ستين سنة كاملة ولم يسهو** فأرجع السبب " ما دخلت المسجد قط وفى نفسى غير الله **!!** "[1]

2- لب النداء

وانعكس ضياء هذه البشرى على مرآة قلب الإمام **أبى حامد الغزالى** فأحب أن يبرهنا ويساعدنا : «إذا سمعت نداء المؤذن فأحضر فى قلبك هول النداء يوم، القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة ، فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر ، فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءًا بالفرح والاستبشار مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار ، فاعلم أنه يأتيك بالبشرى والفوز يوم القضاء لذا قال ﷺ« **أرحنا بها يا بلال** »

وأقتبس لك من مشكاة الحبيب تلك البشرى . . **فعن عبد الله بن عمر أن رجلاً** قال : يا رسول الله إن المؤذنين يفضلوننا (يزيدون علينا فى الثواب) ؛ فطمأنه رسول الله ﷺ : « **قل كما يقولون فإذا انتهيت فسل تعطه** »

3- قوة المقتضى وزوال العارض :

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية« الذى يعين على الخشوع شيئان . .

قوة المقتضى : فاجتهاد العبد فى أن يعقل ما يقوله وما يفعله ، ويتدبر القراءة والذكر والدعاء ، ويستحضر أنه مناج لله تعالى كأنه يراه فإن المصلى إذا كان قائما فإنما يناجى ربه» . .

(1) الرقائق للراشد .

زوال العارض : الاجتهاد فى دفع ما يشغل القلب من تفكر الإنسان فيما لا يعنيه ، وتدبر الجواذب التى تجذب القلب عن مقصود الصلاة ، وهذا فى كل عبد بحسبه فإن كثرة الوسواس بحسب كثرة الشبهات والشهوات ، وتعلق القلب بالمحبوبات التى ينصرف القلب إلى طلبها ، والمكروهات التى ينصرف القلب إلى دفعها " [1] . .

4- لغة حاتم :

يروى عن **حاتم الأصم** أنه سئل عن صلاته فقال « إذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء ، وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه ، فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحي ثم أقوم إلى صلاتى ، وأجعل الكعبة بين حاجبي ، والصراط تحت قدمي ، والجنة عن يميني ، والنار عن شمالي ، وملك الموت ورائي ، وأظنها آخر صلاتي ، ثم أقوم بين الخوف والرجاء ، واكبر تكبيراً بتحقيق ، وأقرأ قراءة بترتيل ، وأركع ركوعًا بتواضع ، وأسجد سجودًا بتخشع . . ثم لا أدرى أقبلت مني أم لا ؟!![2] . . . **هل منا حاتم الآن ؟ !**

5-عظمة الخالق

قبل الصلاة انتبه دقيقةً واحدة ، استشعر فيها عظمة الخالق ، وكم ستر عليك من فضائح معصيتك ؟وكم أنعم عليك رغم إساءتك وتكاسلك عن شكر نعمه ؟ . .

وأدرك بلب قلبك أنك أمام مالك الملكوت العظيم الجبار المتكبر . . عِش في ظلال فقرك لله وحقارة نفسك أمام ملكوته .

«اعلم أن المؤمن لابد أن يكون معظمًا لله عز وجل ، وخائفًا منه ، وراجًيا له ، ومستحيياً من تقصيره ، (فلاينفك عن هذه الأحوال) فانفكاكه عنها فى الصلاة لا سبب له إلا تفرق الفكر ، وتقسيم الخواطر ، وغيبة القلب عن المناجاة ، والغفلة عن الصلاة ولا يلهى عن الصلاة ، إلا الخواطر الواردة الشاغرة ، فالدواء هو إحضار القلب وتعظيم الرب » وأعيدها عليك . . **الدواء هو إحضار القلب وتعظيم الرب** [3] . .

«وأعيدها عليك . . الدواء هو إحضار القلب وتعظيم الرب» .

---

(1)مجمع الفتاوى -ابن تيميه /606/22 .
(2)الإحياء /151/1 .
(3)الإحياء/168/1 .

6- أدرك فضل الخشوع

* قال ﷺ «**ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة ،فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله**» (1) .

*قال ﷺ« **إن العبد إذا قام يصلى أتى بذنوبه كلها فوضعت على رأسه وعاتقيه، فكلما ركع أو سجد تساقطت عنه**» (2) . .

وينسج على نفس المنوال **الإمام المناوى** « المراد أنه كلما أتم ركناً سقط عنه ركن من الذنوب حتى وإذاأتمها تكامل السقوط » (3) .

لذا حين سُئل بعض العباد : هل تذكر فى صلاتك شيئاً؟ قال : **وهل شيء أحب إليَّ من الصلاة فأذكره فيها ؟!!**

7- اذكر الموت ..

نصح ﷺ« **اذكر الموت فى صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت فى صلاته ،لحرى أن يحُسن صلاته، وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلى صلاة غيرها** »(4) . .

اسمع يا من تحدثه الآمال فيستمع . . وتخونه الآجال فلا يرتدع . . وصل الصالحون إلى باب الصلاة يا منقطع فصلى صلاة مودع كما أوصى ﷺ " **إذا قمت فى صلاتك فصل صلاة مودع** »(5) . .

ويستطرد **أبو طالب المكى** ليزيد المعنى قوة " إذا لم يكن فى قلبك للمذكور الذى هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك ؟

فصل صلاة مودع لنفسه . . مودع لما يهواه . .

مودع لعمره . . سائر إلى مولاه "(6)

---

(1) رواه مسلم .
(2) البيهقى فى السنن الكبرى (/ 10/3) وانظر صحيح الجامع .
(3) فيض القدير 268/2 .
(4) حسن .
(5) رواه احمد412/5 وانظر صحيح الجامع / 742 .
(6) قوت القلوب – أبو طالب المكى . .

خطوات خلالية

1- الله أكبر

" إذا قال العبد اللهُ أكبر، اطلع الملك فى قلبه فإذا ليس فى قلبه أكبر من الله تعالى، فيقول : صدقت الله تعالى فى قلبك كما تقول . . وإذا قال : اللهُ أكبر واطلع الملك فى قلبه فإذا كل شىء فى قلبه أكبر من الله تعالى عنده فيقول له : كذبت ليس الله فى قلبك كما تقول »(1)

الله أكبر . . من همى ومشاكلى . . من نفسى وملكى

الله أكبر . . من حياتى ودنيتى . . من أولادى وزوجتى

الله أكبر . . من تركاتى وأموالى . . من عملى وتجارتى

الله أكبر . . من دراستى ومذاكرتى . . من مرضى وكسلى

فإذا ارتفعت راية " **الله أكبر** " بداخلك فخذ معها نفساً عميقاً طويلاً يسدل المعنى آهات التحرر على الجسد، ويكسى القلب ثوب الإجادة . . فتترجم عند الأداء . . وتكسر حاجز الولوج إلى ربك . . فلا تلهيك الملهيات . . أو تشغلك الانشغالات . .

أعرفت إذن مغزى قول حبيبك ﷺ " **إن أحدكم إذا قام يصلى فإنما يناجى ربه فلينظر كيف يناجيه**(2) "

2- خف الموقف الثانى :

كان هذا الخوف مسيطراً على قلب ا بن القيم فحثك بنصيحه قيمه ثمينه جليلة " للعبد بين يدى ربه موقفان موقف بين يديه فى الصلاة وموقف بين يديه يوم لقائة، وبحق الوقوف الأول « **فى الصلاة** » هون عليه الآخر، « **يوم القيامة** » ومن استهان ولم يوفه حقه شدد عليه ذلك الموقف " . .

فأين أنت من الخشوع ؟! ولذلك صارحك ابن عباس " **ليس لك من صلاتك إلا ما عقلت منها** " . .

---

(1) قوت القلوب .

(2) أخرجه الحاكم / 2360/1 . صحيح الجامع / 1538 .

وإن لم تعى لغه ابن القيم ومصارحة ابن عباس فبرقية مسلم بن يسار واضحة : " إنك إذا كنت قائمًا بين يدى أمير أحببت أن يراك متخشعاً، لينجح لك حاجتك ، قيل : فأين منتهى النظر فى الصلاة ؟ قال : موضع السجود حسن "(1) .

وأشرح لك من مدرسة النبوة قول بعض الصحابة «يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئاتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم فيها واللذة . . ثم إصغاء القلب للفهم، وخشوعه للتواضع، وسكون الجوارح للهيبة، ثم الترتيل فى القراءة ، والتدبر لمعانى الكلام ، وصدق الرغبة فى الطلب، وإن مر بآية رحمة سأل ورغب، أو آية عذاب فزع واستعاذ، أو مر بتسبيح أو تعظيم حمد وسبح وعظم، فإن قال بلسانه فحسب، وإن أسره فى قلبه ورفع به همه، كفاه قصده عن المقال وكان فقره غاية السؤال»

3- استعذ :

كان ﷺ يستعيذ بالله فى صلاته فيقول " **أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه** "(2) . .

4- اطمأن واهدأ :

قال ﷺ « مثل الذى لا يتم ركوعه وينقر فى سجوده، مثل الجائع يأكل التمرة والتمرتين لا يغنيان عنه شيئًا»(3)

ويرهبك بلال حين رأى رجلاً لا يتم الركوع والسجود فقال فيه : « لو مات هذا لمات على غير ملة محمد ﷺ » فما ذكر به العبد فى الصلاة من خاطر تمن أو هوى أو ذكر بهمه ما يأتى أو ما قد مضى، فإن ذلك وسوسة إليه من عدوه حسداً له ،ليقطعه بذلك عن وقوف قلبه عند كل ركن من أركان الصلاة ،ليقطعه بذلك عن وقوف قلبه فى المناجاة بما يضره عما ينفعه، ليحرمه بذلك أن يشهد عند كل ذكر من أذكار الصلاة ما يوجبه الذكر من تدبير أو تعظيم أو حمد أو دعاء أو استغفار " (4) .

5 - حسن صوتك :

قال ﷺ " إن من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذى إذا سمعتموه يقرأ القرآن حسبتموه يخشى الله "(5) . .

---

(1) الزهد لابن المبارك/ 514. (2) أخرجه أبو داود والحاكم وصححه هو وابن حبان والذهبى .
(3) صحيح الجامع (4) قوت القلوب .
(5) ابنماجه/ صحيحالجامع/ 2202.

وقال **إسحاق السلولى** حدثتنى . **أم سعيد** قالت : كان بيننا وبين **داود الطائى** جدار قصير ، فكنت أسمع حنينه عامة الليل لا يهدأ ، وربما ترنم فى السحر بالقرآن ، فأرى أن جميع النعيم قد جُمع فى ترنمه وكان لا يسرج عليه !![1] .

وقال **الزمخشرى** فى الكشاف ﴿**وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**﴾[الإسراء : 109] " أى يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين "[2] .

ويترعرع جمال الخشوع ولذة الخضوع ، حين تخلو بنفسك وقد أرخى الليل سدوله . . وأسدلت ستائر النوم على العيون . . فتتحرى كتاب ربك وتتغنى بالآيات . . فيجوب القلب سماء الخشوع وتترقرق أنهار الدموع . .

6- تدبر واعقل :

يقول **الإمام الطبرى** " إنى لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله (تفسيره) ، كيف يلتذ بقراءته ! " وكان دأب النبى ﷺ ما قاله عنه **حذيفة** " صليت مع رسول الله فكان إذا مر بآية رحمه سأل ، وإذا مر بآية عذاب تعوذ ، وإذا مر بآية فيها تنزيه لله سبح "[3] . . . .

وخذ هذه . . **قال الشيخ محمد جمال الدين القاسمى** " وإذا كان الكفار لما سمعوا القرآن فى حال كفرهم ، قالوا : إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمورق ، وإن له لثمرة وإن له فى القلوب لصولة ليست بصولة مبطل !! فما الظن بالمؤمن التقى ؟!!

حقيقة..منسية

ومن الخطوات الحثيثة لاقتناص صيد الخشوع ، هو ببساطة تغيير الآيات التى اعتدت قراءتها . . ولا تندهش حين أتلو على مسامعك أن هناك أناساً يُصلون منذ سنين عدة بآيات محفوظة لا تتغير ! وربما لم يتدبرها ولو مرة واحدة !! . .

ولذا نقول : كى لا تمل النفس وتكل الروح ويسأم القلب العادة . . فاستعن بالجديد من الآيات . . أو البحث فى الذاكرة القرآنية سواءً كنت حافظاً ، أم غاب فى ذاكرة المجهول ، أو حبس فى زنزانة النسيان . . فالجديد يبعث فى القلب نشاطا وفى الروح مرحاً . . وكلاهما يصب فى مجارى القلب ليسيل ماء الخشوع على اللسان والجوارح . .

فتجد فى الصلاة الحلاوة . . وللقرآن الطلاوة . .

---

(1) (سير أعلام النبلاء /424/7) .
(2) الكشاف -الزمخشرى/469/2 .
(3) تعظيم قدر الصلاة /327/1

فلا تستثقل الصلاة ولا تضيق منها ذرعاً . .

ولا يركبك الهم عند سماع النداء . .

لأن الآية صريحة وواضحة ﴿**وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾[البقرة: 45]

فحتى متى لا تصحو وقد قرب المدى

وحتى متى ينجاب عن قلبك الشكر

بل سوف تصحو حين ينكشف الغطاء

وتذكر قولي حين لا ينفع التذكير

وبلغ هذا الأمر ملياً عند **الحسن** . . إذ بات عنده رجل من **قيس** يكنى **أبا عبد الله** . . فقال : قام من الليل فصلى فلم يزل يردد هذه الآية حتى السحر﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا**﴾ [إبراهيم:34] . . فلما أصبح قلنا : يا **أبا سعيد** لم تكد تجاوز هذه الآية سائر الليل!!

فقال : أرى فيها معتبرًا ، ما أرفع طرفًا ولا أرده إلا وقع على نعمة، وما لا يُعلم من نعم الله أكثر "(1) . . .

7- انظر موضع سجودك

عن عائشة قالت " **كان رسول الله إذا صلى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض** " صحيح . . كي لا تلتفت لمن عن يمينك، أو يجرى بصرك على من فى يسارك، أو تجوب عينك فى نقش الجدران، أو تتلمح زينة المحراب، أو زخرفة القبلة . . فارمى ببصرك نحو الأرض . . إلى سجودك كي يكون الخشوع أضمن، والتدبر أوسع، والسهو إلى زوال ونرسل لخنزب أن : ابحث لنفسك عن مكان . . فليس لدى متسع لك ﷺ . . من حسنة ابذرها . . أو نفحة أضيعها .

8- اثأر من عدوك ..

شيطان الصلاة (خنزب) يثأر منك كل صلاة ، ويجعلك تسهو وتصول وتجول وتخرج من صلاتك بلا راحة للنفس، بلا طمأنينة للقلب، بلا سكينة للروح، . . أما فكرت أن تثأر منه؟! ...

(1)التذكار فى أفضال الأذكار للقرطبى / 125

وتنال قول **سهل التسترى** " من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان " . .

أعد النظر مرة أخرى.

لذا حين سُئل **عمار بن ياسر** وكان قد صلى صلاةً خفيفة : خففت **يا أبا اليقظان ؟** فقال : هل رأيتمونى نقصت من حدودها شيئا ؟ قالوا : لا . . قال : «**لأنى بادرت سهو الشيطان**» . .

وكيف لا يبادرك خنزب هذا وأنت ذاهب إلى رحاب ربك وستحل ضيفًا عليه؟! وحق على المزور أن يكرم زائره . .

والعجب أن لا يأتيك إلا أثناء الصلاة . . فهذه فترة عمله ووردية شغله . . حين يشخص قلبك إلى ربه، وتوجه الرقاب إلى قبلته، يلهث دأباً فى إخراجك مما أنت فيه . . وينقلك بعيداً عن المحراب . . لأن هذا هو دوره وتلك هى وظيفته . . وكيف يرتاح باله أو يخمد فؤاده، وأنت الآن تطبق النظريه وترقب النتائج ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾ [المؤمنون: 2O].

أتراه يتركك تربح ؟ أو يسنح لك بالفرصة لتغنم ؟

لهذا فالُمجد الصادق هو من يعقل تماما أن النبى ﷺ قال " **أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله** " (1) . . واسمع أكثر ما أدركه هو " مفتاح الجنة الصلاة " (2) . .

يا هذا : لو خرج قلبك بالمفتاح لكتب لك الفلاح وتدحرج لك النجاح . . وحلقت طربا " **تصدق علينا** " فلن تسمع إلا خطاب العزيز يوم العفو " **لا تثريب عليكم اليوم** " . .

فهل ستثأر منه ؟ وانظر كم أضاع منك صلاة ؟

وكم حرمك حلاوة آية ؟ وكم أخذك عن لذيذ العبادة ؟

9- اجتهد فى الدعاء

قال **ابن مسعود** " من كان فى الصلاة فهو يقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يوشك أن يفتح له " (3) .

إنها سجدات الصلوات ، ولن أبالغ حين اختص هذا المنحى وأخبرك أن السجدات

(1) الطبراني . (2) الدارمي . (3) الصلاة لماذا ؟ / 30 .

التى نرمقها فى صلاتنا ما هى إلا كنوز ثمينة ، ففيها أحلى الدعوات . . وأجل الاقتراب . . وأثمن الهمسات. . وألذ الأوقات . . حين يتمرغ الجبين . . وينحنى الجسد . . وتذل الناصية . . فتتساوى الرأس مع أخمص القدم . . وتبدأ الألحان الربانية " **سبحان ربى الأعلى** "

فمن يستثقل هذه اللحظات أقول له : يا ساجدًا بين يدى ربه . . قل لى متى تنيب ؟ ألا تتزود بالدعاء لتنج من شر يوم عصيب ؟

أما من يرتشف تلك الجرعات . . فالمناجاة له تطيب . . والدعوات تزيد . . فإن كنت تدعى حبه ، وتؤثر قربه ، فاحترز من ذئب الكسل . . ومن لص الفتور . . أو يسرع بك الشيطان على عجلة الخسران فيصيبك زكام الكسل . .

واكتب لنفسك اسمًا فى مقدمة الرعيل مع السابقين . . لأن الكسل سيجرك إلى الساقة . . وتظل طيلة عمرك تشتكى الفاقة . .

أخى . . أختاه . .

انصب لكل سجدة دعاءً مخصص لها . . ولا تعتد على دعاء محفوظ. . أو تستند على شكوى مكررة . . **فهناك أناسٌ** منذ سنين لم يتغير دعاؤهم إلا لطارئ . . أما من ظلت رياح الشتات تلطمه . . وحرم نفسه خيرات ربه . .

وأقفر من الحلاوة قلبه . . وفتحت النفس بابها لعناكب الغفلة . . فنسجت فى زواياه من لعاب الآمال طاقات المنى . . وظل مشتتًا والهم حاله والثقل يعلوه . .

فجدد روحك فى سجودك ودعواتك . .

لأن للجنة اشتياق .. وللنار قلق .. وللسؤال طلب ..
وأشد الناس نهلاً من ذاقها .. وارتشف من آثارها ..





خطوات بعدية

1- ختام الصلاة ..

بعد خشوعك فى الصلاة أشبع قلبك بختامها لتنل الفائدة على أكمل وجـه لبشـراه « **من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت** »(1) .

2 - هل ستفوز بالهدية الربانية

قال ﷺ " **قال الله عز وجل : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين قال الله : حمدنى عبدى .. فإذا قال : الرحمن الرحيم .. قال الله : أثنى على عبدى .. فإذا قال : مالك يوم الدين .. قال الله : مجدنى عبدى .. فإذا قال : إياك نعبد وإياك نستعين .. قال الله : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل .. فإذا قال : اهدنا الصراط المستقيم .. صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .. قال الله : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل** " (2)



(1) صحيح
(2) رواه مسلم .



نماذج مشرفة تطلب التقليد

* قالت السيدة عائشة " كان رسول الله يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه " وفهم أمير المؤمنين عليّ ذلك فإذا حضر وقت الصلاة كان يتزلزل ويتلون وجهه فقيل له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : « جاء وقت أمانه عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها » !![1] . .

هكذا كانوا أخوتاه .. فمتى نفهم ؟!

* قيل لخلف بن أيوب : ألا يؤذيك الذباب فى صلاتك فتطردها ؟! قال : لا أعود نفسى شيئاً يفسد على صلاتى . . قيل له : وكيف تصبر على ذلك ؟! قال : «بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان، ليقال : فلان صبور ويفتخرون بذلك فأنا قائم بين يدى ربى أفأتحرك لذبابة !! »[2]

* وهذا عبد الله بن الزبير إذا صلى كأنه عود وتحط الطيور على ظهره وتحسبه جذع حائط وذات يوم أُلقى عليه حجر فذهب ببعض ثوبه فما أخرجه ذلك من صلاته . !![3] .

* قيل لعامر بن عبد الله : هل تحدثك نفسك فى الصلاة بشىء ؟ قال : " نعم . . بوقوفى بين يدى الله عز وجل ومنصرفى إلى إحدى الدارين "

* كان ذو النون المصرى إذا قام إلى الصلاة يقول : الهى بأى رجل أمشى إليك؟ أم بأى عين أنظر إليك؟ أم بأى لسان أناجيك؟ أم بأى يد ادعوك ؟

ولكن الثقة بكرمك حملتنى على الجراءة وإن العبد إذا ضاقت عليه حيلته قل حياؤه "[4] .

هكذا كانت صلاتهم .. ولا داعى للسؤال !!

---

(1) مكاشفة القلوب .
(2) الإحياء/ 262/1 .
(3) المدهش .
(4) طهارة القلوب/ 332 .



من وحى الصلاة

يقول مصطفى صادق الرافعى :

" بالانصراف إلى الصلاة وجمع النية عليها ، يستشعر المسلم أنه قد حطم الحدود الأرضية المحيطة بنفسه من الزمان والمكان ، وخرج منها إلى روحانية لا يحد فيها إلا بالله وحده . .

وبالقيام فى الصلاة يحقق المسلم لذاته معنى إفراغ الفكر السامى على الجسم كله ، ليمتزج بجلال الكون ووقاره ، كأنه كائن منتصب مع الكائنات يسبح بحمده .

هى لحظات من الحياة كل يوم فى غير أشياء هذه الدنيا ، لجمع الشهوات وتقييدها بين وقت وآخر بسلاسلها وأغلالها من حركات الصلاة ، ولتمزيق الفناء خمس مرات كل يوم عن النفس .

فيرى المسلم من ورائه حقيقة الخلود ، فتشعر الروح أنها تنمو وتسمو "[1]

هزات إيقاظ

يا أخانا : صلاتك هى عنوانك يوم القيامة . . يا من تسهو عن صلاتك إن لم تصلى فى سكينة واطمئنان فمتى يحين ذلك ؟! ؛

لا تنس " **كم من قائم ليس من قيامه إلا النصب والتعب** "[2] .

وأبان ﷺ " **إن العبد ليصلى الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها ؛ تسعها ؛ ثمنها ؛ سبعها ؛ سدسها ؛ خمسها ؛ ربعها ؛ ثلثها ؛ نصفها** "[3] .

ويلخص عمار بن ياسر " لا يكتب للرجل من صلاته ما سها عنه "[4]

وذات مرة رأى بعض السلف رجلاً يعبث بلحيته فى الصلاة فقال " لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه[5] "

---

(1) وحى القلم -الرافعى / 11/2 .
(2) ابن ماجه .
(3) أحمد 321/4وانظر صحيح الجامع / 1626 .
(4) الزهد لابن المبارك /559/2 .
(5) الذل والانكسار لابن رجب / 33 .



" وحاصل الكلام أن حضور القلب هو روح الصلاة وإن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور (القلب) عند التكبير .

فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح فى أجزاء الصلاة .

كم من حى لا حراك به قريب من ميت ؟!

فصلاة الغافل فى جميعها إلا عند التكبير كمثل حى لا حراك به نسأل الله حسن العون "(1).

• علامة القبول

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ " **قال الله عز وجل : إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى،ولم يستطل على خلقى ، ولم يبت مصراً على معصيتى ، وقطع النهار فى ذكرى، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب ، ذلك نوره كنور الشمس، أكلؤه بعزتى وأستحفظه ملائكتى، أجعل له فى الظلمة نورا وفى الجهالة حلماً، ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة** "



(1) الإحياء /161/1 .

(1) رواه البزار . .



وقبل السلام

نداء.. لأولى الألباب

يا غائب القلب فى صلاته . . يا شتيت الهم فى جهاته .

يا مشغولاً بآفاته . . يا من يحضر بدنه فى الصلاة . . فأما القلب فقد أهمله . . فسبحان من قَوَّم قلوبًا وأصلحها . .

فيا أرباب الغفلة اذكروا . . يا أهل الإعراض احضروا . . يا غافلين عن المنعم اشكروا . . يا رفقاء السهو والتيه اخشعوا . . فأسفًا لمن إذا ربح العاملون خسروا . . وإذا أطلق المقيدون اسروا . . وإذا اكتنفهم الخشوع ما صبروا . .

وحذرك الحسن

"إياك أن ينظر الله إليك وأنت تنظر لغيره"

سعيًا من الآن ..

إخوانى . . طوبى لقلوب فى الخدمة حضرت . . وأسرار بالخشوع عمرت . . وكم من شهوة فى صدورهم كُسرت . . أخبارهم تحى القلوب إذا نشرت . . يقال لهؤلاء القوم وأمثالهم . .

سعيكم مشكور وعملكم مقبول وذنبكم مغفور

• ميزان الصلاة ..

وصية على طبق من ذهب أرسلها أبو طالب المكى " اعلم أن طول الصلاة عليك غفلة وقصرها سهو لأنها إذا طالت عليك دل على عدم الحلاوة ، ووجود الثقل بها ، وكبرها على جوارحك . . وإذا قصرت عليك وخَفْت دل على نقصان حدودها ، ودخول الغفلة والسهو فيها " . .

همسة :

أوحى الله إلى شعيب " يا شعيب هيأ لى من رقبتك الخضوع ومن قلبك الخشوع ومن عينك الدموع وادعنى فإنى قريب " . .



الملامة الخامسة

عين بكت .. فأعتقت



لذّة البكاء لا يلتمسها إلا من ذاقها .. ولا يلتمس حلاوتها إلا من جربها .. حين يوجل القلب .. وتتمسكن النفس .. وتتذلل الروح .. وينكسر الجسم .. ويداعب اللسان اعترافات التقصير .. على هجران التفكير في المصير.. وضياع العمر القصير.. ونسيان يوم الحساب العسير .. وكان العقل يحاسب نفسه ..

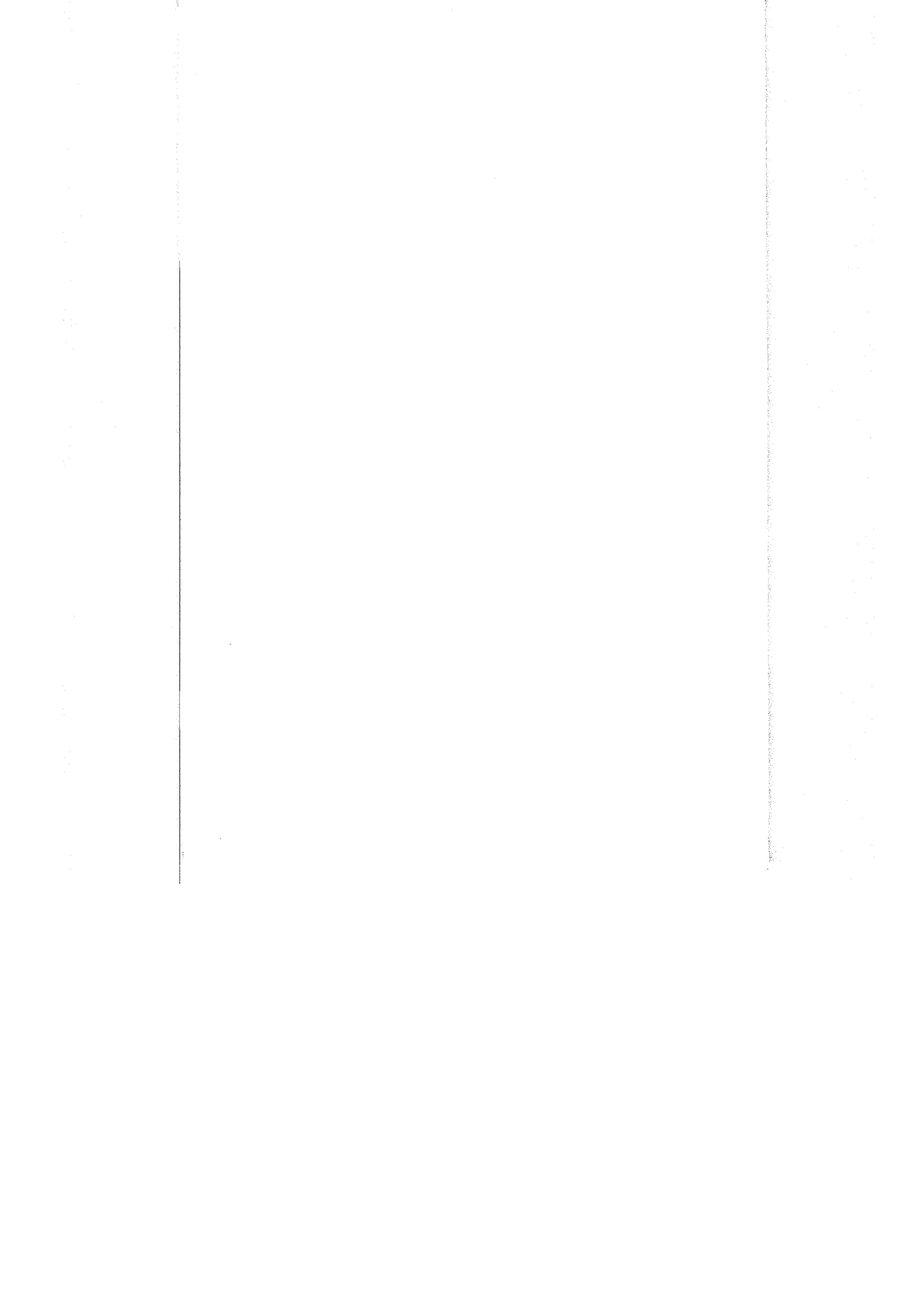
أين الذين كانوا فى اللذات يتقلبون ؟ مزجت لهم كئوس المنايا فباتوا يتجرعون .. فكم وعظوا بالكلام لو أنهم كانوا يسمعون ..

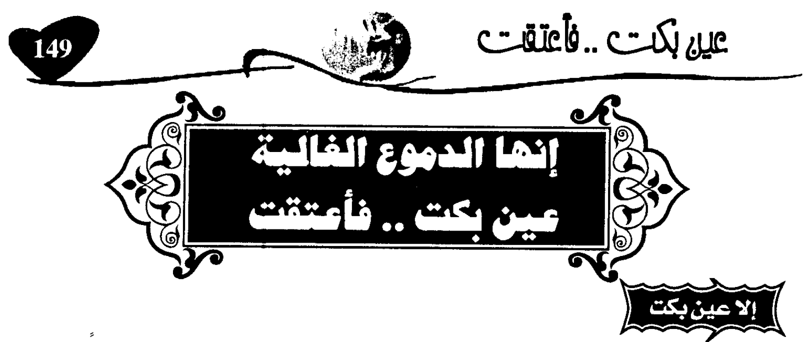
حُمل كل منهم فى كفن إلى بيت البلى والعفن..وضمهم والله التراب وسد على ذكراهم الباب وتقطعت بهم الأسباب، ورجع عنهم الأحباب .. وكلٌ يقول لنفسه :

أين أموالى والزخائر ؟! أين أصحابى والعشائر ؟!

إلى متى الانشغال بالأهل والأولاد؟ .. وأنت فقير إلى يسير من الزاد ..

فابك.. قبل أن يُبكى عليك ..





إلا عين بكت

يقول ﷺ " **سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله .. رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه** "[1] . . وقال ﷺ " **عينان لا تصيبهما النار : عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله** " [2]

إنها الدموع الغالية التى تطفأ نيران المعاصى . . لكل المعانى التى تأتى على القلب فتحيله إلى فحم أسود . . وهذه الدموع التى تنفجر من العيون فيستقى منها القلب ويرتوى .

ومن هذه الزاوية أسقط **الحسن** النظرية " ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله ، إلا حرم الله جسدها على النار فإن فاضت على خدها لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة وليس من عمل إلا له وزن وثواب ، **إلا الدمعة من خشية الله فإنها تطفئ ما شاء الله من حر** النار ، ولو أن رجلاً بكى من خشية الله فى أمة لرجوت أن يرحم بكائه تلك الأمة بأسرها " [3]

وكل هذا مصداقة قوله (ﷺ) " **لا يلج النار أحد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع** "[4] . .

جاءته دموعه :

خرج النبى ﷺ على أصحابه فقال " **إنى رأيت البارحة عجبًا .. رأيت من أمتى رجلاً هوى فى النار فجاءته دموعه التى بكى بها فى الدنيا من خشية الله ، فأخرجته من النار** "[5]

وكانت هناك عابدة من أحسن النساء عينًا ، فأخذت فى البكاء من خشية الله ، فقيل لها : تذهب عيناك . ، فقالت : « إن يكن لى عند الله خير فسيبدلنى خيرًا منها . . وإن تكن الأخرى فوالله ما أحزن عليها» [6] .

---

(1) متفق عليه . (2) صحيح . (3) المواعظ والمجالس / 24 .
(4) صحيح (5) الطبرانى والترمذى (6) المواعظ والمجالس / 203

يا هذه .. ويا هذا ..

من سعى إلى جنات العزم بأقدام المسكنة ، ووقف بباب الكرم على أخمص المسألة ، ووصف ندمه على الذنب بعبارة الذل لم يعد بالخيبة .. لما امتلأت أسماع المتيقظين بصوت " **فأخرجته من النار** " قاموا على أقدام الانكسار يبكون على زمان ضاع من غير الوصال ..

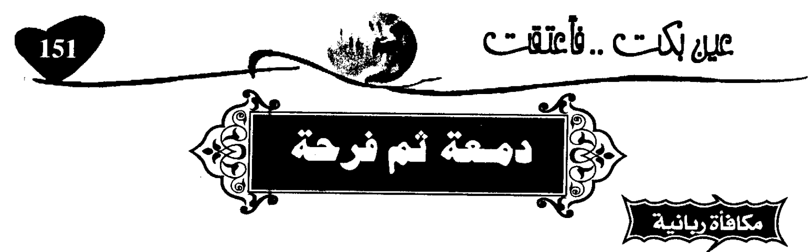
ولذا صحت **معادلة ابن الجوزى :**

" قطرة من الدمع على الخد أنفع من ألف قطرة على الأرض " .

فكيف الحال إذا بلغت القلوب الحناجر وقطعت الحسرات الأكباد .. فكم خذلنا التفريط من الباطلين ؟ وكم أعمت الآمال بصائر الآملين ؟

أما لكم عيون من ألم الفراق تدمع ؟ أما لكم قلوب من وحشة الانقطاع تخشع ؟
أما لكم أسماع تصغى إلى المواعظ فتسمع ؟





مكافأة ربانية

روى أن الله قال " وعزتى وجلالى لا يبكى عبد من خشيتى، إلا أبدلته ضحكًا فى نور قدسى . قل للبكائين من خشتيى : أبشروا . . فإنكم أول من تنزل عليهم الرحمة ، قل للمذنبين من عبادى يجالسون البكائين من خشيتى ، لعلى أصيبهم برحمتى إذا رحمت البكائين " . .

تلك الفئة نظرت فى العواقب . . إن اللبيب لها مراقب . .

غداً رأي العين

فقولوا لى بالله عليكم :

أين تعب من صام الهواجر ؟ وأين لذة العاصى الفاجر ؟ رحلت اللذة إلى الصحائف . . وذهب نصيب البكائين، ونالوا الرضا فأبدلوا ضحكا . . ونالوا البشرى . . لأنهم تذكروا " **يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء** "

فتعجلوا للموقف وعالجوا التالف من حياتهم لأنهم أيقنوا يوم تخلو الديار . . ويوم يطوى الليل والنهار . . وتهلك الإنس والجن والأشجار . . وتنضب البحار والأنهار . . وبست الجبال فصارت كالغبار . .

ونادى المالك العظيم : لمن الملك اليوم . . لمن الملك اليوم . . لمن الملك اليوم . .

فيرد لسان الانكسار : **لله الواحد القهار** .

فيا معشر العاصين «قد بقى القليل والأيام تنادى : قد دنا الرحيل، وقد صاح بكم إلى الهدى الدليل، . . وقاس على ذلك الأمر **عبد الله بن عمر فقال** " لأن أدمع من خشية الله تعالى أحب إلى من أن أتصدق بألف دينار " . .

وتخرج من مدرسة البكاء **محمد بن المنكدر** فكان إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه فقيل له فى ذلك فقال : بلغنى أن النار لا تأكل موضعًا مسته الدموع ، فابك فى خلواتك على جفواتك، وابك فى لياليك على غيك وتماديك " . .

دعوة (ﷺ) محمدية

والعجيب أن يدعوا النبى ﷺ " **اللهم ارزقنى عينين هطالتين تشفيان القلب بذروف الدموع من خشيتك ، قبل أن تكون الدموع دماً والأضراس جمرا** " رواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية

وقرأه **الزمخشرى** فشرحه بأسلوبه الرقيق : «سالت مذارف عينه أى مدامعها وسمعت من يقول رأيت دمعه يتذارف (من خشيتك) من شدة خوفك (قبل أن تكون الدموع دماً) من هول الموقف وما بعده (والأضراس) جمع ضرس وهو السن ، وهو مذكر ما دام له هذا الاسم ، لأن الأسنان كلهـا إناث الأضـراس ، فإن قيل فيـه سن فهـو مؤنث (جمراً) من شدة العذاب يوم المآب وهذا إنما يكون محض تعليم للأمة ، وأما هو فأعظم الآمنين الفرحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون "[1].



(1) تفسير الكشاف للزمخشري .



اعترافات نبى !!

كان **داود** عليه السلام يسجد ويناجى ربه فى سجوده :

إلهى : يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة لى لا تذهب عنى . .

إلهى : تبكى الثكلى على ولدها إذا فقدته و**داود** يبكى على خطيئته . .

إلهى : الويل **لداود** إذا كشف عنه الغطاءُ وقيل هذا **داود** الخاطىء . .

إلهى : بأى عين انظر اليك يوم القيامة ، وإنما ينظر الظالمون من طرف خفى؟!

إلهى : بأى قدم أقوم ببابك يوم تزل أقدام الخاطئين ؟!

إلهى : من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده ؟!

إلهى : أنا الذى لا أطيق صوت الرعد فكيف أطيق صوت جهنم ؟!

إلهى : كيف يستقر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت شاهدهم حيث كانوا ؟!

إلهى : أنت المغيث وأنا المستغيث فمن يدعو المستغيث إلا المغيث ؟ !

إلهى : فررت إليك بذنوبى، فاعترفت بخطيئتى، فلا تجعلنى من القانطين، ولا تخزنى يوم الدين . .

إلهى : إذا ذكرت ذنوبى آيست من كل خير ، وإذا ذكرت رحمتك رجوتها

إلهى : امدد عينى بالدموع ، وقلبى بالخشية، وضعفى بالقوة حتى أبلغ رضاك عنى "[1]



(1) التبصرة/ 235.



بكاء العابدين

* كان **فتح الموصلي** يبكي الدموع، فلما مات رؤى في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ فقال : أوقفني بين يديه

وقال لي : يا **فتح** البكاء لماذا ؟ قلت : يا رب على تخلفي عن واجب حقك . . قال : فلم بكيت الدم ؟، قلت : يارب خوفًا على دموعي الا تصح لي . . قال : يا **فتح** ما أردت بهذا كله ؟ قلت : يا سيدي أردت بذلك وجهك الكريم واصنع بي ما شئت . . فقال : «عزتي وجلالي لقد صعد إلى حافظاك منذ أربعين سنة بصحيفتك، وليس فيها خطيئة واحدة، فلألبسنك لباس التكريم ،ولأمتعنك بالنظر إلى وجهي الكريم »

* حُكي عن **عطاء السلمي** أنه كان كثير البكاء فُسئل عن ذلك، فقال : لم لا أبكي ووثاق الموت في عنقي ،والقبر منزلي، والقيامة موقفي، والخصوم حولي يقولون لي : يا مراء بيننا وبينك الموقف لفصل القضاء . .

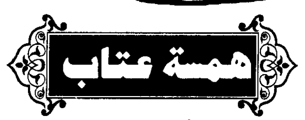
* قال **إبراهيم بن أدهم** : مرض بعض العباد فدخلنا عليه نعوده فجعل يتنفس ويتأسف فقلت له : على ماذا تتأسف فقال : على ليلة نمتها ويوم أفطرته وساعة غفلت فيها عن ذكر الله !!

* بكى أحد العباد عند موته فَسُئل عن ذلك فقال : أبكي بأن يصوم الصائمون ولست فيهم، ويذكر الذاكرون ولست فيهم ،ويصلي المصلون ولست فيهم !! . .

* **محمد بن المنكدر** كان كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال : آية من القرآن " **وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون** " كيف لا تذهب العيون من البكاء ؟ وما تدرى ما قد أعد لها " (1)



(1) المدهش / 262 .



همسة عتاب

انظروا إلى هؤلاء السادات كيف يتأسفون على الفوت ، ويندمون على ترك العمل الصالح بعد الموت ، فاستدرك ما بقى من عمرك . . أما ترونهم فى قبورهم قد أسروا يتمنون العود إليكم وهيهات .

فكم وعظ الزمان ؟ وكم أنذر المشيب من شباب؟ وأباد الموت من أتراب؟ وكم فرق من أحباب؟ . .

أما لك سمع للمواعظ يسمع ؟ . .

أما لك عين على فراق الأهل تدمع ؟ . .

أما لك قلب من الخوف يخشع ؟ . .

أما لك فى الجنة مطمع ؟!!

ولكن أمُلى عليك **تقرير الفضيل بن عياض** " ليس البكاء بكاء العين إنما البكاء بكاء القلب ، فإن الرجل قد تبكى عيناه وقلبه قاس لأن بكاء المنافق يكون من رأسه لا من قلبه "

كم رأينا من أناس هلكوا . . فبكى أحبابه ثم بكوا

تركوا الدنيا لمن بعدهم . . ليتهم لو قدموا ما تركوا

قلب الدهر عليهم فلكا . .فاستداروا حيث دار الفلك

مدوا أيدى الذل والافتقار ، ونادوا برفيع الأصوات بالسر والإجهار !!

عبيدك أهل المعاصى والإصرار أتوك يرجون عفوك عن الذنوب والأوزار . .

إلهنا : شفيعنا إليك الذل والانكسار . . إلهنا :إن كانت ذنوبنا قد أخافتنا من عقابك ،فإن حسن الظن قد أطمعنا فى ثوابك . .

وأوجز كل ما قيل **كعب الأحبار** " لأن أبكى من خشية الله حتى تخرج من عينى قطرة واحدة ، أحب إلى من أن أتصدق بجبل من ذهب "



خبران .. مرعبان

إنصات إجباري

قال ﷺ «إن الله يوم يقوم الأشهاد يقول: يا معشر الجن والإنس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا اسمع قولكم وانظر أعمالكم فأنصتوا، فإنما هي أعمالكم وصحفكم تُقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق مظلم

ثم يقول الله عز وجل: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: 59].

إلى قوله تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [يس: 63].

فيميز الله الناس، وتجثو الأمم، فيقضي بين خلقه، إلا الثقلين الجن والأنس، فيقضي الله بين الوحش والبهائم حتى إنه ليقيد الجماء من ذات القرن،

فإذا لم تبق تبعة عند واحدة لأخرى، يقال لها: كوني ترابًا فعند ذلك يقول الكافر « يا ليتني كنت ترابا » [1] ..

آه على جوارح قابلت
بفعلها القبيح الفعل الجميل
آه على أكباد لم تنقطع
خيفة من الملك الجليل
آه على قلوب لم تتفكر
في يوم الموت والرحيل
آه على جنة عدن
وظلها الظليل

شيء عظيم !!

قال أبو هريرة: يا رسول الله من استثنى الله تعالى حين قال: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: 87]، قال ﷺ:

---

(1) المدهش / 262.

«أولئك الشهداء وقاهم الله فزع ذلك اليوم، وأمنهم منه، وهو عذاب يبعثه الله على شرار خلقه، فيقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: 1-2] . .

فيمكثون فى ذلك البلاء ما شاء الله إلا أنه يطول عليهم ثم يأمر الله عز وجل **إسرافيل** فينفخ نفخة الصعق، فيصعق أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله، فإذا اجتمعوا جاء ملك الموت إلى الجبار.

فيقول: قد مات أهل السماوات والأرض إلا من شئت .

فيقول الله عز وجل- وهو أعلم-: من بقى ؟ فيقول : أى رب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقى جبريل وميكائيل.

فيقول : إنى كتبت الموت على من تحت عرشى فيموتان، ثم يأتى ملك الموت.

فيقول: قد مات جبريل وميكائيل، فيقول وهو أعلم : من بقى؟

فيقول : بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة العرش وبقيت أنا.

فيقول الله عز وجل : فليمت حملة العرش فيموتون، ويأمر الله تعالى العرش فيقبض القرن من إسرافيل.

ثم يقول : ليمت إسرافيل فيموت ثم يأتى ملك الموت، فيقول : يا رب قد مات حملة عرشك فيقول الله عز وجل وهو أعلم بمن بقى . .

فيقول : بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا.

فيقول الله عز وجل : أنت خلق من خلقى خلقتك لما رأيت فمت فيموت . . فإذا لم يبق إلا الله عز وجل، طوى السماء والأرض كطى السجل للكتب ثم دحاها، ثم قال : أنا الجبار . . لمن الملك اليوم - ثلاث مرات - فلا يجيبه أحد فيجيب بنفسه فيقول لنفسه : **لله الواحد القهار**(1) . .

اذكر وقوفك يوم الحشر عريانا

مستضعفا فارغ الأحشاء حيرانا

---

(1) صحيح.

النـار تزفـــر مـن غـــيظ ومـن حنــق

علـى العـصــاة وتلقى الرب غـــضـــبــاناً

اقــرأ كــتــابك يا عــبـدى على مــهــل

وانظـر إليــه ترى فــيـــه الذى كـــانا

لما قـــرأت كــتـــاباً لا يغـــــادر لى

مـــا كـان فى الســر أو مـــا كـــان إعــلانا

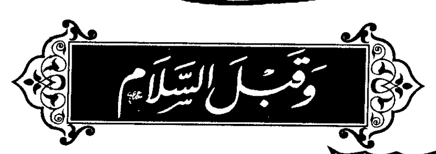
قـــال الجليل خـذوا يا مــــلائكـــتى

مـــــروا بـه لأليـم الـنــــار ظـمـــأنـا

يـا رب لا تحــــرمنـــا يـوم المعـــاد ولا

تجــــعـــل لنارك فـــينا اليـــوم سلطانا





وقبل السلام

اكتشف مسلك الوصول

يا أحباب : مثلوا أنفسكم وقد وقفتم على النار ، وقلتم : يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا . . كلما صحتم يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ، وقد صرفتم همتكم فى طلب الدنيا وأعرضتم عن أخراكم . .

و**أبو الدرداء**» بلغ الأمر عنده الأشد فاحترق قلبه وهو يقول " إن أشد ما أخاف على نفسي يوم القيامة . أن يقال لى : يا **أبا الدرداء** قد علمت فكيف عملت فيما علمت ؟

وكان يقول : لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعاماً على شهوة ، ولا شربتم شرابًا على شهوة ، ولا دخلتم بيتًا تستظلون فيه ، ولخرجتم إلى الصعيد تضربون صدوركم ، وتبكون على أنفسكم ، ولودت أنى شجرة تعضد ثم تؤكل "

برقية عزاء .. فيها الشفاء

إلى من لا تزال أعينهم جامدة وقلوبهم قاسية لا تلين .

دعنى أهزك هزًا . .

أتظن أنك فوق مستوى الأتقياء ؟ أتشهد لنفسك بالفضائل وتبرأها من الرذائل ؟

أتسوق محامدك للناس وتذكر حسناتك وتستعرض نفسك على ربك ؟

ألا تعلم أن الله هو الأعلم . . ولا تخفى عليه خافية . . أُدلف دوامة البكائين وإن لم تستطع البكاء فتباكى ولم لا ؟!

اعصر قلبك حرقة . . أجهد عينك من أجل دمعة . . خذ بيد نفسك إلى ربها وسقها إليه كرهًا إن لم ترضى طوعًا . . فلا تقدم للاعتذار عريضة لأن هذا حال الفئة المريضة . . فأنت الضعيف الهزيل والمخلوق الفقير . . والعبد المسكين . . اهضم نفسك فلولا ستر الله لظهرت الفضائح . . ولولا لطف الله لبدت القبائح . .

أخى..أختاه

دع أعمالاً تتحدث عنك لا أقوالك . . وإحسانك لا كلامك . .

حقيق على مثل هذا العبد أن يسكت . . وأن يطرح نفسه على عتبة ربه . . أما من له قلب ميت بالقبيح . . وقتله عجبه الظاهر . . وفرح بذنبه الخفى .

أناشده . . وأناديه :

تب لمولاك الآن . . **نعم الآن** . . الآن . . وردد هذا الدعـــاء وحلق فى كل كلمـــة تقولها :

« اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ،خلقـتنى وأنا عـبـدك ،وأنا على عـهـدك ووعـدك مـا استطعت ،أعوذ بك من شر ما صنعت ،أبوء لك بنعمتك علىَّ ،وأبوء بذنبى ،فاغفر لى .فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[1] .

كررها ثلاثاً ..

أغمض عينك واستحضر قلبك . . وإن كنت تملك النية الجازمة والعزيمة الماضية . .

أقول لك : ما أحلى أن تتوضأ الآن ثم تصوب الأكف وتردد سيد الاستغفار ثلاثاً كما أوصينا . .

وصدقني أخي .. وصدقيني أختاه ..

ستروا الفارق واقعاً لا خيالاً . . حقيقةً لا زيفاً . . وكأنكم بُعثتم من جديد . .

فهل من مُقبل ؟ وهل من شاك ؟ وهل من مستغفر ؟ وهل من باك ؟

أسمعوني الجواب(..............)

هكذا كـانوا . . فهل أنت ستكون ؟! . .

هكذا سبقوا . . فهل ستسبق أنت من بعدك ؟!

هكذا أذلوا أنفسهم لله . . فهل ستقلد صنيعهم ؟!

هكذا أعزهم الله . . فهل ستطلع لمنزلتهم ؟! . .

همسة :

قال بعض السلف : مررت برجل منفرد، فقلت له : أنت وحدك؟ . .

فقال : مع ربى وملكاى فقلت : اين الطريق؟ فأشار نحو السماء ثم مضى وهو يقول اكثر خلقك متشاغل عنك؟!

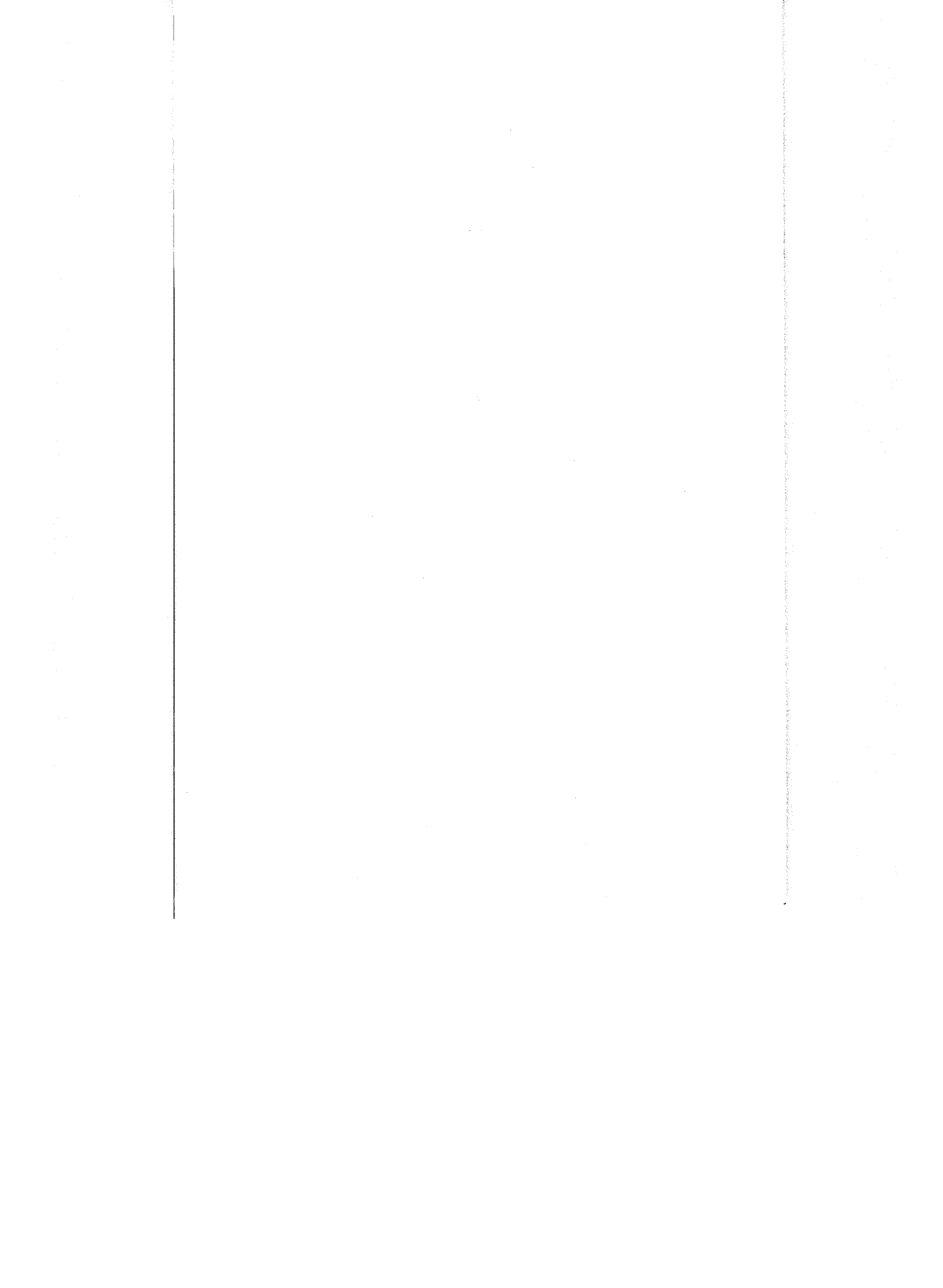
---

(1) صحيح .



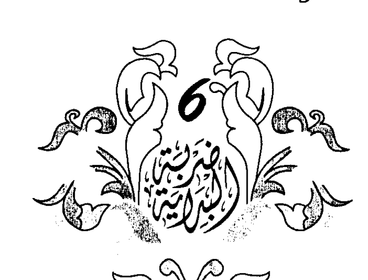
عريضة استرحام

أنا العبد الذي كسب الذنوب
وصدته الأماني أن يتوبا
أنا العبد الذي أضحى حزينا
على زلاته فزعا كئيبا
أنا العبد السقيم من الخطايا
وقد أقبلت ألتمس الطبيبا
أنا العبد المفرط ضاع عمرى
فلم أرع الشبيبة والمشيبا
فيا خجلاه من حشرى ونشرى
إذا ما أبدت الصحف العيوبا
ويا خوفاه من نار تلظى
إذا زفرت وأفزعت القلوبا
ألا فاقلع وتب واجتهد فإنا
رأينا لكل مجتهد نصيبا
وكن للصالحين أخا وخلا
وكن فى هذه الدنيا غريبا
قل أنا العبد الفقير ظلمت نفسى
وقد وافيت بابك منيبا
وقل أنا المقطوع فارحمنى وصلنى
ويسر لى منك فرجا قريبا
وقل أنا المضطر أرجو عفوك
فمن يرجو رضاك فلن يخيبا

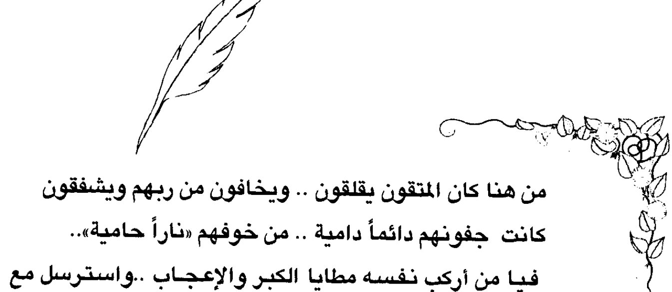




الزيارة السادسة



**كمائن منصوبه
ومخالب مؤدية**



من هنا كان المتقون يقلقون .. ويخافون من ربهم ويشفقون

كانت جفونهم دائماً دامية .. من خوفهم «ناراً حامية»..

فيا من أركب نفسه مطايا الكبر والإعجاب ..واسترسل مع غرور نفسه..

فقل : على نفسك السلام ..

إن المتكبر يُشعل فرناً ساخناً ثم يقتحم فيه .. فينخر فى العظام نخرًا..ويعيث فى النفس فسادًا..

فلا بد من الاستئصال ..

كى ينبسط خاطرك ،ويهدأ قلبك ، ويرتاح ضميرك .. وتسكن بلابل نفسك ..

فاسمعوا عظه الزمان إن كنتم تسمعون ..

وتأملوا تقلب الأحوال إن كنتم تبصرون ..



إن الكبر والعجب الذي يغلف القلب، ما هو إلا فتور همة وضعف إيمان وشلل فكر وعمى قلب . .

إذ كيف تتكبر أو تعجب بعملك وقد من الله عليك به ؟! . .

ولِمَ تتكبر على خلق الله أنسيت خالقك ؟ . .

وأين معاملتك مع الله؟ .

واستلم الإغاثة

" من أنفع ما للقلب : النظر في حق الله على العبد، فإن ذلك يورثه مقت نفسه والازدراء عليها، ويخلصه من العجب ورؤية العمل ، ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدى ربه، واليأس من نفسه، وأن النجاة لا تحصل إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته "(1) .

وكتب بنفس الفكر فاتح القادسيه سعد بن أبي وقاص لابنه

" يا بني : إياك والكبر وليكن فيما تستعين به على تركه :

علمك بالذي منه كنت والذي إليه تصير، وكيف الكبر مع النطفة التي منها خلقت؟، والرحم التي منها قُذفت؟، والغذاء الذي به غُذيت؟ "(2) .

ولعل هذه الأسئلة تستوقف سيرك ..

والإجابة .. لعلك أدركتها ..

ولكي لا تتعرقل أكثر من ذلك ..



(1) إغاثة اللهفان /143/1

(2) العقد الفريد/ 1/ 184 .



1- سلب القبول

عبر البريد السريع أرسل الماوردى خطابه " إن الكبر والإعجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل، وليس لمن استوليا عليه إصغاء لنصح، ولا قبول لتأديب، لأن الكبر يكون بالمنزلة . . والعجب يكون بالفضيلة . . فالمتكبر يحل نفسه عن رتبة المتعلمين، والمعُجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدبين "(1) . . ذلك لأن بضاعتك أيام عمرك . . وقد انتهبها قُطاع الطريق . . وأنت في غفله لا تدري . . فترجع إلي بيت الأسف باليد الفارغة . . والكتاب القاتم.

ومن لم يرتدع يخبره مجاهد ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾[الفرقان: 23]

فقال: " عمدنا إلى ما عملوا من عمل، فما عملوا من خير لم يقبل منهم(2) . .

ومن استثنى نفسه مما قبل فلابد أن يعى ما قاله الحسن وهو يرسم حال المؤمنين " لقد أدركت أقوامًا إذا عملوا الحسنة دأبوا على شكرها، وسألوا الله أن يقبلها، وإذا عملوا سيئة أحزنتهم، وسألوا الله أن يغفرها، فما زالوا على ذلك، فوالله ما سلموا من الذنوب وما نجوا إلا بالمغفرة "

2- إلغاء من كشوف الجنة

يصرح النبي ﷺ " **لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر** "(3) . . ولكي تطأطأ رأسك أكثر فاسمع قول الحق تبارك وتعالى " **الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم ولا أبالي** "(4) .

---

(1) أدب الدنيا والدين/ 69.
(2) الزهد لابن المبارك/ 615/2
(3) حسن
(4) صحيح.

وحين قرأ **النعمان بن بشير** هذه الكلمات الربانية اندفع خائفاً محذراً إن للشيطان مصائد وفخوخًا ، وإن من مصائد الشيطان وفخوخه ، البطر بأنعم الله ، والفخر بإعطاء الله ، والكبر على عباد الله وإتباع الهوى من غير ذات الله " . .

ومن هذا المنطلق أهديك دعاء النبى ﷺ " **نعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا»** .

فيا أيتها النفس تدبري أمرك وتأملي . . ومثلي بين ما يفنى وما يبقى ولا تعجلى . . وإذا ضللت الطريق فقفي واسألي

فيا من إذا أصبح طلب بالمعاش الشهوات . . وإذا أمسي انقلب إلي فراش الغفلات .

أين أنت من أقوام نصبوا الآخرة نصب أعينهم . . فما وصلوا إلي ساحل النجاة إلا بعد طول السري . .

وما نالوا حلاوة الراحة إلا بعد صراع ، التعب وأنت لازلت واقفًا .

وعن طريق ربك مضربًا .

ولكتابه هاجرًا . ولنفسك طائعًا هائمًا . فأكتب لك وصية النبي ﷺ لحصين بن المنذر لعلها تجد من قلبك مكان وفى حياتك الاهتمام .

« قل : **اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى** » .

3- حرمان ثم حرمان :

قال ﷺ " **تخاطبت الجنة والنار ، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة : مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقاطهم وعجزتهم ، فقال الله للجنة : إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار : إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء ، ولكل واحدة ملؤها** (1) .

وإياك وهذه يقول ﷺ " **يكون قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يقولون : قد قرأنا القرآن فمن أقرأ منا . . ومن أعلم منا»** ثم التفت إلى أصحابه وقال : «**أولئك منكم أيها الأمة ، أولئك هم وقود النار** " (2) .

وتشتد لهجتة ﷺ " **لا ألفين (لأجدن) أحدكم يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء ،فيقول :**

---

(1) صحيح .
(2) صحيح



يا رسول الله أغثني . . فأقول : لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك " (1) . .

ولعل **ابن القيم** اطلع أسبابك فقال " الجنة خطوتان أن تسقط نفسك فيما بينك وبين الناس، وأن تسقط الناس فيما بينك وبين الله "

4- ذل يوم القيامة

" يقول ﷺ " **يُحشر المتكبرون يوم القيامة في مثل صور الذر** (صغار النمل)، **تطأهم الناس في مثل صور الرجال، يعلوهم كل شيء من الصغار،ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس، تعلوهم نار الأنبار، يُسقون من طين الخبال عصارة أهل النار** " (2) .

وخاف على نفسه **عثمان بن عفان** من تسلل هذا اللص الخفي فصاح " لو أنني بين الجنة والنار ولا أدرى إلى أيتهما يؤمر بى، لاخترت أن أكون رمادًا قبل أعلم إلى أيتهما أصير !! "

وكان **الإمام الدبوسي** ينصح بهذا الدعاء قائلاً " قل وردد : بالله استعين، وبه أعوذ، وإياه ألوذ تبارك من مقدر لا يتحرك العبد ولا يسكن، ولا يتكلم ولا يسكت إلا بنعمة من الله جديدة مضمومة إلى منه قديمة فلله الحمد سرمدًا والشكر متواليًا أبدًا " (3)

5- حجاب يعرقل الرضا

استفهام يخجل

يقول **الشيخ الجيلاني** " **يا أنت** : تمن على الله عز وجل مع سهوك وريائك ونفاقك، وتطلب كرامته لك، وتزاحم الصالحين مع فسادك، مالك والذكر لهم والدعوى لمعرفتهم؟! . . يا خارجًا عن دائرة المخلصين الموحدين من هذه الأمة . . ابك حتى يُبكَى معك، اقعد فى مصيبك والبس ثياب العزاء ، « **أنت محجوب وما عندك خبر** . . قال بعض الصالحين " **ويل للمحجوبين الذين لا يعلمون أنهم محجوبون** " (4)

أيها الشارد : أى شيء قَلبك ؟! أى شيء تعقل ؟

إلى من تشكو ؟ إذا وقعت فى شدة بمن تثق ؟ . .

---

(1) صحيح .
(2) حسن
(3) الأمد الأقصى/ 156
(4) الفتح الرباني .

تفكرت في حشري ويوم قيامتي
وإصباح خدي في المقابر ثاديا
فريداً وحيداً بعد عز ورفعة
رهينًا بجرمي والترابُ وساديا
تفكرت في طول الحساب وعرضه
وذل مقامي حين أعطى كتابيا
وإن رجائي فيك ربي وخالقي
بأنك تعفو يا إلهي خطائيا

6- تهديدات قرآنية

لا تشرب السم

* قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60]..

* قال تعالى: ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ [النساء: 173]..

* قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: 146]..

ردود سريعة

* قال تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44].

* قال تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: 38].

نداء.. ورجـــاء

يا من لا يتعظ بسلف آبائه، يا مشغولاً بذكر بقائه عن ذكر فنائه، يا مغروراً قد حل الممات بفنائه، يا معجبا بثوب صحته يمشى فى خيلائه ،

يا من يلهو بأمله ويا من أجله ورائه، . . كم رأيت مسلوباً من سروره ونعمائه؟!،

كم شاهدت مأخوذاً عن أحبابه وأبنائه؟ بينما هو فى غروره دب الموت فى أعضائه . .

بادر قبل أن تغادر

كم ينعم عليك فتنسى وتجحد

كم تشيع من ميت وترى لحد ملحد .

يا قليل الانتفاع بالوعظ متى تتزود ؟!



الدواء الناجع

1- لا ترفع سعرك

لا ينتابك العُجب بعملك وصلاتك وصومك . . واعلم أنها من توفيق الله لك أن كنت من أهلها . . فلا تفتخر . . فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم، فأضحت وزهرها يابس هشيم إذ هبت الريح العقيم ؟ . . كذلك العبد يُمسي قلبه بطاعة الله مشرق سليم ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم؟ . . وذلك تقدير العزيز العليم، «**ولعل الشافعي**» يبرز لك المعنى ويوضحه " إذا خفت على عملك العجب ؛ فاذكر رضا من تطلب؟، وفى أى نعيم ترغب ؟ ومن أى عقاب ترهب ؟ . . فمن فكر فى ذلك صغر عنده عمله "

ابن آدم .. الأقلام عليك تجري وأنت في غفلة لا تدري .

ويعلمك المعلم فكان ﷺ يدعو قائلاً " **يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك** "(1)

فماذا أنت فاعل ؟!

2- اعرف قدرك

عن جابر مرفوعًا عن جبريل " أن عابدًا عبد الله على رأس جبل فى البحر خمسمائة سنة ثم سأل ربه أن يقبضه ساجداً .. قال جبريل : فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا،ونجد فى العلم أنه يبعث يوم القيامة فيُوقَف بين يدى الله ..

فيقول الرب عز وجل : أدخلوا عبدى الجنة برحمتي،فيقول العبد : يارب بعملى يفعل ذلك ثلاث مرات .. ثم يقول الله للملائكة : قايسوا عبدى بنعمتى عليه وبعمله،فيجدون نعمة البصر قد أحاطت بعبادته خمسمائة سنة وبقيت نعمة الجسد كله ..

فيقول : أدخلوا عبدي النار .. فَيُجَر إلى النار .. فينادى : برحمتك أدخلنى الجنة .. برحمتك أدخلنى الجنة .. فيدخله الجنة ..

قال جبريل : إنما الاشياء برحمة الله «يا محمد » (2). . . .

واشترك رجل في الحوار فقال **لابن مسعود** : ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقربين أحب إليَّ ، فعبر ابن **مسعود** عن حاله واشفاقه فقال : لكن هاهنا رجل ود لو أنه إذا مات لم يُبعث، يقصد نفسه " (3)

فماذا عن حالك يا قليل البضاعة؟ وماذا لديك يا كثير الانبساط؟

وأين زادك يا كسلان؟ يا مسافراً بلا زاد لا راحلة ولا جواد ؟!

(1) صحيح . (2) أخرجه الحاكم وصححه . (3) حياة الصحابة .



3- انهيار السد

قال ﷺ " **ما السماوات السبع فى الكرسى إلا كدراهم سبعة أُلقيت فى ترس** " (1) . .
ويوضح أكثر ﷺ " **ما الكرسى فى العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهرى فلاة من الأرض** " (2) . .

ويعرفك قدرك **ابن مسعود** " بين السماء الدنيا والتى تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسى خمسمائة عام، وبين الكرسى والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم " (3)

4- استفهام يقلق

قرأت هذه الآية : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ** ﴾[الأنعام :46] فلاحت لي فيها إشارة كدت أطيش منها، وذلك أنه إن كان عني بالآية نفس السمع والبصر، فإن السمع آلة لإدراك المسموعات، والبصر آلة لإدراك المبصرات، فهما يَعرضان ذلك على القلب فيتدبر ويعتبر، فإذا عرضت المخلوقات على السمع والبصر أوصلا إلى القلب أخبارها، من أنها تدل على الخالق، وتحمل على طاعة الصانع، وتحذر من بطشه عند مخالفته.

وإن عنى معنى السمع والبصر فذلك يكون بذهولها عن حقائق ما أدركا شغلاً بالهوى، فَيعُاقب الإنسان بسلب معاني تلك الآلات، فيرى وكأنه ما رأى، ويسمع كأنه ما سمع، والقلب ذاهل عما يتأذى به لا يدري ما يراد به، لا يؤثر عنده أنه يُبلى ولا تنفعه موعظة تجلى.

ولا يدري أين هو ولا ما المراد منه، ولا إلى أين يُحمل؟ وإنما يلاحظ بالطبع مصالح عاجلته ولا يتفكر في خسران آجلته، لا يعتبر برفيقه، ولا يتعظ بصديقه، ولا يتزود لطريقه . .

---

(1) رواه ابن جرير وابن أبي شيبة . .
(2) رواه ابن جرير وابن أبي شيبة
(3) فتح المجيد/ 621.

وهذه حالة أكثر الناس، فنعوذ بالله من سلب فوائد الآلات، فإنها أقبح الحالات "(1)

النـاس في غفلة و الموت يوقظهم .... وما يفيقـون حتى ينفذ العمرِ

يشيعـون أهاليهم بجمعهم .... و ينظـرون ما فيه قد قـبروا

و يرجعون إلى أحلام غفلتهم .... كأنهم ما رأوا شيئاً و لا نظروا

5- تأمل العواقب

مواجهة من حجة الإسلام **أبى حامد الغزالى** " إنما صار الكبر حجابًا دون الجنة، لأنه يحول بين العبد وبين أخلاق المؤمنين كلها، وتلك الأخلاق هى أبواب الجنة، والكبر وعزة النفس يغلق تلك الأبواب كلها، لأنه لا يقدر على أن يُحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، وفيه شيء من العلو ولا يقدر على التواضع وهو رأس أخلاق المتقين، وفيه العز، ولا يقدر على ترك الخلق وفيه العز ولا يقدر على أن يدوم على الصدق وفيه العز، ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز، ولا يقدر على النصح اللطيف وفيه العز، ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز، ولا يسلم من الازدراء بالناس واغتيابهم وفيه العز، فما من خلق ذميم إلا وصاحب العز والكبر مضطر إليه ليحفظ عزه، وما من خُلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفًا من أن يفوته عزه "(2). .

6- اجعل نفسك وراء ظهرك

ولأن الكبر مرض عضال فاعلم أنه " الإدمان المستعصى الذى يمسك بخناق الناس، ويسد عليهم منافذ الفهم هو: رفعهم لأنفسهم فوق مستواهم البشرى، **مما يجعلهم يعتقدون أنهم ليسوا مثل الناس وأنهم مخلوقات أخرى**، وهذا هو مذهب إبليس.

وهو أن ترى نفسك وعشيرتك وقومك ومذهبك **فوق الناس**، وأنكم أحباء الله وعياله المفضلون، سواء عملتم الصالحات أم لم تعملوها! . . وإنه لن يدخل الجنة إلا من كان منكم، وإن الآخرين ليسوا على شيء.

الكبر هو الذى يجعلك تحتقر الآخرين، وتحتفظ لنفسك بالامتيازات، وترفض أن يطبق عليك القانون الذى يطبق على البشر " (3)

(1) صيد الخاطر/ 57.
(2) إحياء علوم الدين 3/344-345.
(3) كن كابن آدم/ 25.



7- بم يختم لك ؟

ومن الحلول أنه " إذا رأى العبد أحدًا من الناس إلا رأى الفضل عليه، ويقول : عسى أن يكون عند الله خيرًا منى وأرفع درجة . .

فإن كان صغيرًا قال : هذا لم يعص الله تعالى وأنا قد عصيت،

وإن كان كبيرًا قال : هذا عَبَدَ الله قبلى،

وان كان عالماً قال : هذا أعطى ما لم أبلغ ونال ما لم أنل، وعلم ما جهل، وهو يعمل بعلمه،

وان كان جاهلاً قال : هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم ، ولا أدرى بم يختم لى؟ وبم يختم له؟

وان كان كافرًا قال : لا أدرى عسى أن يُسلم فَيُختم له بخير العمل، وعسى أن أكفر فيختم لى بسوء العمل "(1)

ومن نفس المدرسة تخرج **بكر بن عبد الله** فحين سئل رجل بكر بن عبد الله : علمني التواضع فقال : « إذا رأيت من هو أكبر منك فقل : سبقني إلى الإسلام والعمل الصالح فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك، فقل : سبقته إلى الذنوب والعمل السيئ فأنا شر منه " (2) . .

8- كفى بنفسك حسيبا

اعلم أن الكبر من المهلكات ولمعالجته مقامان " **المقام الأول**: فى استئصال أصله وقطع شجرته، وذلك بأن يعرف الإنسان نفسه . . فإذا عرف نفسه حق المعرفة، علم أنه أذل من كل ذليل، ويكفيه أن ينظر فى أصل وجوده بعد العدم من تراب ثم من نطفة خرجت من مخرج البول ثم من علقه ثم . . ،فقد صار شيئًا مذكورا بعد أن كان جمادًا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا يتحرك ، فقد ابتدأ بموته قبل حياته . . وبضعفه قبل قوته . . وبفقره قبل غناه . .

وأما آخر أمره فالموت الذى يعده جمادًا كما كان فيصير جيفة منتنة، وتُبلى أعضاؤه،

---

(1) فتوح الغيب/ 195 .
(2) العقد الفريد/ 216 .

وتنخر عظامه ويأكل الدود أجزاءه، ثم بعد طول البلى تجمع أجزاؤه المتفرقة، ويحضر عرصة القيامة فيرى أرضًا مبدلة، وجبالاً مسيرة، وسماءً منشقة، ونجومًا منكدرة، وشمسًا مكورة، وأحوالاً مظلمة وجحيمًا تزفر، وصحائف تنشر،

ويقال له: ﴿ **اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾[اسراء : 14] فيقول : وما كتابي ؟، فيقال : كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها ملكان يحصيان ما تنطق به وتعمل ،وقد نسيت ذلك وأحصاه الله تعالى، . . فهلم إلى الحساب عليه، وأعد جواباً له، وإلا فأنت تُساق إلى النار .

والمقام الثاني :

من اعتراه الكبر بالجمال فلينظر في باطنه نظر العقلاء ولا ينظر إلى ظاهره نظر البهائم، ومن اعتراه من جهة القوة فليعلم أنه لو آلمه عرق عاد أعجز من كل عاجز، ومن تكبر بسبب الغنى فإذا تأمل خلقاً من اليهود وجدهم أغنى منه، فَأف لشرف تسبق به اليهود "[1] . .

9- لا تمنن تستكثر

لعل أحدنا حين يسمع هذه النماذج التي تستدعي التقليد. يذهل ويدهش ويأخذ شهقة صامتة لا يستطيع بعدها الكلام . . **ولكن** ليس هذا لإرخاء الهمم أو إغلاق أبواب القبول في الوجوه بل هي من قبيل الوقوف مع النفس وأين أنت من عبودية الله ؟!! . . ألم أقل لكم إن الموضوع بحاجة لمراجعة مع النفوس، ومناقشة مع القلوب، وطرحه بجدية على العقول، حتى ندرك من نحن عند الله ؟ ! . .

وأنبهك " كما أن الحسنات يذهبن السيئات فالسيئات تبطل ما قبلها من الحسنات في قوله تعالى ﴿ **وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ** ﴾[محمد : 33] حث على تكميل الأعمال وحفظها من كل ما يفسدها لئلا يضيع العمل سدى "[2] . . وانتفض **ابن سيرين** وهويسمع رجلاً وكأنه يمن علي ربه بعمله . . وكأن صلاته ستزيد الرب عظمة وصيامه سيرفع الرب درجة . . معاذ الله . . يقول " فعلت إليك وفعلت»

فنهره قائلاً مشفقًا : « اسكت فلا خير في معروف إذا أُحصى "

---

(1) مختصر منهاج القاصدين بتصرف يسير/ 245 .
(2) تيسير الكريم الرحمن للسعدي/ 13 .

كلمات هادفة

لا تمنوا عليَّ

تأملت قوله عز وجل : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾ [الحجرات :17] على هذا كل متعبد ومجتهد في علم ، إنما رأى بنور اليقظة ، وقوة الفهم ، والعقل صوابًا فوقع على المطلوب ، فينبغي أن يوجه الشكر إلى من بعث له في ظلام الطبع القبس ، ومن هذا الفن حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فانحطت عليهم صخرة فسدت باب الغار فقالوا : تعالوا نتوسل بصالح أعمالنا . .

فقال كل منهم : فعلت كذا وكذا ، وهؤلاء إن كانوا لاحظوا نعمة الواهب للعصمة عن الخطأ فتوسلوا بإنعامه عليهم ، الذي أوجب تخصيصهم بتلك النعمة عن أبناء جنسهم ، فبه توسلوا إليه وإن كانوا لا حظوا أفعالهم فلمحوا جزاءها ، ظناً منهم أنهم هم الذين فعلوا ، فهم أهل غيبة لا حضور .

ويكون جواب مسألتهم لقطع مننهم الدائمة ، ومثل هذا رؤية المتقي تقواه حتى إنه يرى أنه أفضل من كثير من الخلق ، وربما احتقر أهل المعاصي وتَشَمَّخ عليهم وهذه غفلة عن طريق السلوك " (1)

يا مسكين . . أعجب العجائب سرورك بغرورك ، وسهوك فى لهوك ، تغتر بصحتك وتنسى دنو السقم ، وتفرح بعافيتك غافلاً عن قرب الألم ؟!

كـأنك لم تسـمع بأخبـار من مضى
ولـم تر فى البـاقين مـا يصنع الدهر
فـإن كنت لا تدرى فـتلك ديارهم
محـاها مـجال الريح بعـدك والقبـر

خوف دائم إلا..

قال حاتم الأصم " لا تغتر بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة . . فلقى آدم عليه ما لقى ، ولا تغتر بكثرة العبادة . . فإن إبليس بعد طول تعبده لقى ما لقى ، ولا تغتر بكثرة العلم.

(1) صيد الخاطر / 63.

فإن بلعام[1] كان يُحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقي حيث كفر، ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر من المصطفى ﷺ ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه» . .

وهو ما يبرهنه **معاذ بن جبل** " إن المؤمن لا يطمئن قلبه ولا تسكن روعته، حتى يخلف جسر جهنم وراءه » . . **ومعاذ بن جبل** اعلم الأمة بالحلال والحرام قبس من مشكاه النبوة ونهل من كأس العلم فخط كلمات تلتمس الإدراك والاستيعاب .

أخي . .

(الخشبة اليابسة إذا دخل طرفها الواحد في النار عرق طرفها الآخر، وكذلك القلب إذا كانت فيه حرقه ندامة الذنوب جادت العينان بوابل الدموع ، ولانت الجوارح بالخضوع ، والقلب بالإنابة والخشوع)[2] . .



(1) من علماء بني إسرائيل.
(2) لشبان الواعظين/ 178 .



غرور أخطأ مكانه

يا أخانا . . كم من مالك مال يظن أنه جمع ما لم يجمعه غيره **إلا قارون !** .

ومن صاحب قصور وبساتين يظن أن بيديه ملك **بلقيس** ! .

ومن معجب بمنظره ومختال بمشيته وكأنه هو **وفرعون** قد خرجا من مشكاة واحدة **!**

ومن بصير وكأنه هو **وعيسي** من أسرة واحدة **!**

ومن متحدث ومتفوه يقول : ليس مثلي ولو سمع ما حدث بعده من الفصاحة عد نفسه أخرس **!**

ومن ظن أنه أوتى من الجمال ما قَسَّمه الله بينه وبين **يوسف** عليه السلام **! ! وقس على ذلك**

وهل أنت الذى ستقض مضاجع **فرعون وهامان ؟!** . .

استدراك مطلوب

فكيف يستقر الكبر فيمن خُلق من تراب ، وطُوي على القَذَر ، وجرى مجرى البول مصنفه **أبو الدرداء** أحد علامات الجهلاء حيث قال : " علامة الجاهل ثلاث : العُجب ، وكثرة المنطق ، وأن ينهى عن شيء ويأتيه " . .

لذا " فإذا أراد الله بهذا العبد خيراً ألقاه فى ذنب يكسره به ، ويعرفه قدره ، ويكفى به عباده شره ، وينكس به رأسه ويستخرج منه داء العجب والكبر والمنة عليه وعلى عباده ، فيكون هذا الذنب أنفع لهذا من طاعات كثيرة ، ويكون بمنزلة شرب الدواء يستخرج به الداء العضال " (1)

واتجه **ابن مسعود** أن الكبر مدخل العجب فحذر مراراً

" الهلاك فى شيئين : العجب والقنوط ، وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالطلب والتشمير والقانط لا يطلب والمعُجب يظن أنه قد ظفر بمراده فلا يسعى "(2)

(1) تهذيب مدرج السالكين/ 170 .

(2) مختصر منهاج القاصدين/ 255 .

قل لهم :

قل للعاملين لغير الله : يا عظيم خسرانكم . .

قل للواقفين بغير باب الله : يا طول هوانكم . .

وقل للآملين لغير فضل الله : يا خيبة آمالكم . .

قل للعاملين لغير وجه الله : يا ضيعة أعمالكم . .

الأسباب كلها منقطعة إلا أسبابه . . والأبواب كلها مغلقة إلا أبوابه .

لذا يضع ابن الجوزى النقاط فوق الحروف فوصف أهل المقصود " جعل (الله) رحيق محبته مشروبهم، وأطال على باب خدمته وقوفهم،

وجعل رضاه وقربه مطلوبهم، وغضبه وبعده مخوفهم، فهم من خشيته مشفقون، ومن هيبته مطرقون .

إن تواضعوا فلرفعته، وإن تذللوا فلعزته، وإن خضعوا فلعظمته،

إلى الله افتقارهم، وبالله افتخارهم، وإلى الله استنادهم،

هو كنزهم وعزهم، وفخرهم وذخرهم، ومعبودهم ومقصودهم "[1] .



(1) التذكرة في الوعظ/ 82 .



* من لم ينتفع بعينه لم ينتفع بأذنه، للعبد ستر بينه وبين الله ؛ وستر بينه وبين الناس . . فمن هتك الستر بينه وبين الله . . هتك الله الستر الذي بينه وبين الناس . . وكما تدين تدان . .

* إضاعة الوقت أشد من الموت ! ! لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة . . والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها .

* من خلقه الله للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره . . ومن خلقه الله للنار لم تزل هداياها تأتيه من الشهوات والطمع في الدنيا والمال .

* ليس العجب من مملوك يتذلل لله ويعبده ولا يمل من خدمته مع حاجته وفقره إليه ؛ إنما العجب من مالك يتحبب إلي مملوك بصنوف إنعامه . . ويتودد إليه بأنواع إحسانه مع غناه عنه .

* العمل بغير إخلاص كالمسافر يملأ جرابه رملاً . . يثقله ولا ينفعه . . إذا حملت علي القلب هموم الدنيا وأثقالها . . وتهاونت بأورادة التي هي قوته . . كنت كالمسافر الذي يحمل دابته فوق طاقتها . . ولا يوفيها علفها .

فما أسرع ما تقف به

*** يا ضعيف الهمة :**

أما كان الرسول ﷺ سيدالكل يقوم حتي ورمت قدماه؟! .

أما كان أبو بكر شجي النشيج كثير البكاء؟! .

أما كان في خد عمر بن الخطاب خطان من آثار الدموع؟! .

أما كان عثمان بن عفان يختم القرآن في ركعة؟! .

أما كان علي بن أبي طالب يبكي بالليل في محرابه حتي تخضل لحيته بالدموع؟ ويقول: يا دنيا غري غيري.

أما كان الحسن البصري يحيا علي قوة القلق؟

أما كن سعيد بن المسيب ملازمًا للمسجد فلم تفته صلاة في جماعة أربعين سنة؟

أماصام الأسود بن يزيد حتي اخضر واصفر؟

أما قالت ابنة الربيع بن خيثم له: ما لي أري الناس ينامون وأنت لا تنام.. فقال: إن أباك يخاف عذاب البيات!

أما كان أبو مسلم الخولاني يعلق سوطًا في المسجد يؤدب به نفسه إذا فتر؟

أما صام يزيد الرقاشي أربعين سنة وكان يقول: واحسرتاه.. سبقني العابدون وقطع بي.

يا من يقرأ.. اسمعت؟.. أفهمت.

* الشيطان يزين المباح في أول الفكر.. ثم يُجر إلي الجناية، فتلمحوا المآل وافهموا الحال.. وربما أراكم بالغاية الصالحة وكان في الطريق إليها نوع مخالفة.. فيكفي الاعتبار في تلك الحال.. إنما تأمل آدم الغاية وهي الخلد ولكنه غلط في الطريق.. وهذا أعجب مصايد إبليس التي يصيد بها الأقوياء..

* نفحة فم الريح تحرك الشجر؛ ونفخة من الصور أماتت والأخري أعاشت.. لا تعجبوا فإن نفخة الشتاء في البرد أماتت الأشجار ونفس الربيع أعياد الروح.. وكما أن ريح الدنيا بين مثير ولاقح.. فريح نفخة الصور يوم النشور تثير الأبدان وتلقح أشباح الأرواح لقراءة دفاتر الأعمال.

* يقول ابن الجوزي: «دعوت يومًا فقلت: آللهم بلغني آمالي من العلم والعمل.. وأطل عمري لأبلغ ما أحب من ذلك فعارضني وسواس من إبليس فقال: ثم ماذا أليس الموت فما الذي ينفع طول الحياة.

فقلت له: يا أبله.. لو فهمت ما تحت سؤالي علمت أنه ليس بعبث».

أليس في كل يوم يزيد علمي ومعرفتي فتكثر ثمار غرسي فأشكر يوم حصادي .

أفيسرني أني مت منذ عشرين سنة لا والله لأني ما كنت أعرف الله تعالي عشر معرفتي به اليوم .

ألم تسمعه ﷺ : «**لا يزيدالمؤمن من عمره إلا خيراً**» صحيح مسلم .

* إذا استقام زرع الفكر قامت العبرات تسقي . . ونهضت الزفرات تحصد . . ودارت رحي اليقظة تطحن . . واضطرمت نيران القلق والخوف . . فحصلت للقلوب لقمة القبول تتقوتها في سفر الحب . . حتي تستقبل عند الوصول ﴿**سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**﴾ .





أستودعكم الله

وبعد أن تنهدت الأنفاس، وقدمت النفحات وطرقت الأبواب، وخضت الزيارات وتنزهت فى الاستراحات . .

أسألك سؤالاً صريحاً واضحاً بيناً . .

ما حال قلبك الآن ؟ هل لهذه الكلمات نقش فى قلبك ؟

هل لهذه الحروف أثر فى لوح روحك ؟ هل لعباراته ذكر فى مسامع أذنك ؟

هل لها بريق فى لُب عقلك ؟ هل لها بصمه فى إصلاح نفسك وحياتك وأخلاقك ومعاملاتك ؟

ما الذى تغير فيك بين الأمس واليوم .. والغد ؟

أخى .. أختاه .. أحباب قلبى

إن هذه الصفحات وتلك الأسطر، ما المُبتغى منها أن تحياها القلوب ساعة قراءتها، ثم تولى هاربة . . أو تطرب مع السياق الآذان وبعد حين تدخل غياهب النسيان . . أو يأخذك الكلام وتقعد عن الأفعال . . إنها كلمات واقعية أمام أعيننا . .

وهذا حالنا .. لهذا اجعله نقطه البداية .. وصافرة التحول.

إنها عبادات قلبية تُرَشد ببذل الطاقة واستفراغ الوسع . . فحولها لواقع ملموس وتطبيق عملى فى حياتك . . أن . . انكَسر أمام نفسك . . وعش فى رحاب ربك . . وكن عبداً خاشعًا ذليلاً . . شاكرًا حامدًا . . ساجدًا خاضعًا . .

وهذا ما يتطلبه الطريق للوصول .. وما تكتنفه الراحلة لبلوغ المأمول .

فيا طالب النجاة دُم على قرع الباب . . وزاحم أهل التقى أولى الألباب . . ولا تبرح إن لم يُفتح . . **فرُب نجاح بعد يأس .. ورب غنى بعد إفلاس .. ورب عزة بعد تذلل وانكسار ..**

صبرا فما يظفر إلا من صبر
إن الليالى واعدات بالظفر
وربما ينهض جِدٌ من عثر
وربما عظم حينًا وانجبر

قم من نومتك ولا تمكث فى غفلتك . . فالسماء لم تقع على الأرض بخطئك والقيامة لم تقم لجريرتك . . والشمس لم تأفل بعد بجنايتك . . لست أول المخطئين . . ولا آخر المقصرين . .

قم وابدأ من جديد . . لا يثبطك شيطان . . ولا يعوقك ما كنت عليه قبل الآن . . تحرر من كبريائك واجعل نفسك وراء ظهرك . . واندم على عيوبك . . وأمح بدموعك قبيح مكتوبك . .

قف وقوف المنكسرين . . وتبتل تبتل المعتذرين . . وتضرع على باب القلق . . وقل بلسان المحترق " **أنا الفقير إليك** "

لا تصر على التقهقر التدريجى مع ربك . . أو تسنح لطفو الشوائب بقلبك . . فأنت كل يوم فى معركة جديدة مع نفسك . . وشيطانك . . وهواك . . وأحوالك . . فلا تترك ركام الأيام والانشغالات يتعاظم عليك . . فتنسى وجهتك، ويتجه مؤشر قلبك إلى الأرض، . .

اجعله قاموساً جديداً وبرمجة حية فى حياتك . . حتى تنال يوم الحساب التصفيق الحاد . . وتتوج بوسام الشفاعة، وتنال صك البراءة، وتلبس حلل الكرامة، وتهيم طربًا وتحيا شوقًا، وأنت تتسلى وتتأكد بنفسك " **إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله : هل تشتهون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ربنا وما فوق ما أعطيتنا ؟! فيقول : رضوانى أكبر** " (1) .

لهذا . .

حقق بداخلك " **أنا الفقير إليك** " لذ بها . . اهتف لها . . ابذل من أجلها . . دون اسمك وانقش رسمك فى قائمتهم . . وإن فعلت . .

فطابت لك الحياة وهنيئًا لك النجاة . . مع ركب قوم صنعتهم العبادة على يديها وشكلهم ربهم برعايته :

فأخلصوا النيات . . وصلحت منهم الأعمال . . ومات فيهم الهوى . . وساروا على الجادة . . وسفحوا دموع الخشية . . الاستغفار يحلق بحناجرهم . . لا يرفعون جباههم الساجدة إلا وتاج العزة على هامتهم . . عبدوا الله فذلت لهم جبابرة العالم . . وسعوا للآخرة فهرولت الدنيا خلفهم لاهثة تريدهم . . واتصلوا بالسماء فاشرأبت لهم الأرض احتفاءً بهم . .

---

(1) صحيح .

فجزاهم الله خير الجزاء، وأكرمهم في العطاء.

وأسكنهم دار السلام، وأحلهم أحسن المقام.

بجوار ذي الجلال والإكرام.

هنيئًا لهذه الوجوه النضرة . . والقلوب المنكسرة . . والأرواح اليقظة . .

وجعلها بالنعيم مسفرة ضاحكة مستبشرة . .

﴿ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله



مصارحة قلب

أحباب قلبي . . صارحوا أنفسكم بعد كل هذا . . فمن الذي دعاه فما لباه ؟ ومن الذي انطرح على عتباته فما أجاب دعواه ؟ ! ومن الذي سأله فما أعطاه ؟! ومن الذي لجأ إليه فما كفاه ؟! .

يُغني ويُفقر .. يُحيي ويُميت .. يبتلي ويعافي .. يمرض ويشفي ..

مصارحة قلب

أما كفى إبراهيم **الخليل** وقد ألقي في النار فصيرها له بردًا وسلامًا . . أما نجى **نوحًا** من الطوفان يوم صارت الأرض كوكبًا في بحر من الماء . . أما شق البحر **لموسى** ودمر عدوه وفجر له الصخر . . أما حمى الرسول ﷺ ونجاه من الاغتيالات ونصره في الغزوات . . وآنس قلبه من الوحشة، وثبت فؤاده في الهول، وشد أزره في النازلات . .

مصارحة قلب

بالله عليكم يا أحباب اقرعوا باب ربكم . . وتدبروا كتابه . . وصاحبوا أحبابه . . وسلوا أنفسكم **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾** [الزمر : 36] .

مصارحة قلب

أما آن لك يا مسكين أن تقلع عن هواك ؟! أما آن لك أن ترجع إلى باب مولاك ؟! أنسيت ما خولك وأعطاك ؟! أما خلقك فسواك ؟! أما عَطَّف عليك القلوب وبرزقه غذاك ؟! أما ألهمك إلى الإسلام وهداك ؟! أما قربك بفضله وأدناك ؟! أما بره فى طرفة عين يغشاك ؟!

فقابلت ذلك بالغفلة وارتياد الشهوات، والمبادرة بالخطايا والزلات . .

مصارحة قلب

نقضت عهده، وعصيت أمره، ودمت على الإصرار، وأطعت هواك، وخالفت الجبار . . أما آن لك أن تستحى ممن شاهدك على المعصية ورآك ؟! . .

ومع هذا الحرمان والبعد إن عدت إلي رحابه قبلك وارتضاك . . **وإن لزمت طاعته قربك وأدناك ..**

ابسطوا الأيدي إلى المولى ذي الجلال بالذل والضراعة والانكسار . .

أنات عابد.. أعادت الروح..

ونادوا : **إلهنا** : يا من لا تضره المعصية ولا تنفعه الطاعة ، نسألك أن تبدل منا الفساد بالصلاح ، والخُسران بالأرباح ، وأن تُعاملنا بالعفو والسماح . .

إلهنا : إن عيوبنا لا يسترها إلا محاسن عطفك ، وذنوبنا لا يغفرها إلا مكارم لطفك . . ندعوك إلهنا مع خوفنا لأنك رب الأرباب ، ونرجوك مع تقصيرنا كرجاء الأحباب ، فإن قبلتنا فبفضلك ، وإن رددتنا فبعدلك . .

أيقظنا من غفلتنا ، وتجاوز عن جرائمنا ، وألحقنا بالذين أنعمت عليهم ، واجعلنا أهلاً لمن يقال لهم :

عبادي إني راض عنكم .. فهل أنتم راضون عني ؟

وآخر سطر أردت أن أكتبه بخط يدي ، وأناجي فيه ربي فأقول له :

إلهي .. إذا دللت السالكين عليك
فوصلوا بموعظتي إليك ..
أتراك .. **تقبل المدلول وترد الدليل** ؟!
إلهي .. إن لم يكن كلامي خالصاً
لوجهك الكريم .. ففي
أحبابي من قرأه من حضر
خالصاً لوجهك .. فشفعه
في تقصيري ...
إلهي وحبيبي وسيدي ومولاي
تُرى .. هل تقبلني ؟!

.. شريف ..

هواة المراسلة
sherif4islam@yahoo.com
sherif4islam@hotmail.com

اقرأ للمؤلف

أولاً: الكتب

1- شد الرحال إلي الله (كتاب+كتيبات)

كتاب: يناديك إلي القمم ويناشدك: لا تقف مكانك هل وقفت الشمس مكانها؟! هل ثبت القمر في موضعه؟! هل سكنت الريح؟!.. فيأتي دوره ليكشف لك معالم الطريق كي تعلن في نفسك ميلاداً جديداً.. ويتوجه أيضاً بكل حب ووداد إلي الشباب سن الهمم الوثابة واليقظة العالية والدماء الفائرة والآمال العريضة.

فهو: دليلك إلي رحلة النجاة وهجرة الإنقاذ وركوب سفينة الصالحين وهمس ربك في أذنيك: عبدي إني راض عنك فهل أنت راض عني؟!.. هذه يد نجاة تمتد إليك فلا تردها وصوت حنون يناديك فلا تخذله.. الحق بركبنا.. لا تلهك الآمال.. الزاد قليل.. والطريق طويل.. والعمر قصير..

2- أختاه.. لحظة من فضلك

صرفت وجه الحديث فيه إلي الجوهرة المكنونة.. والدرة المصونة.. إلي مربية الأجيال.. وصانعة الرجال؛ إلي صاحبة الهمة العالية والعزيمة الماضية.. إليك أختاه الغالية، إليك أماه الحبيبة.. وإليك أيتها الزوجة الكريمة.. إلي حفيدات خديجة وعائشة.. وأخوات حفصة وفاطمة.. وإلي كل راع مسئول عن رعيته.. فهل من مجيب؟! وهل من لبيب؟!

3- **أنا الفقير إليك..** (وهو الذي بين يديك)

وترقبوا

1- رسالة من مهاجر:

يخبرك أنك على سفر ويسامرك عن مهاجر حط رحاله بالجنة، وترسم لك هجرتك «من أين؟! وإلي أين؟! وكيف؟!»، واستعداداتك من الزاد والراحلة، وطريق السفر ومَركِبة ورفقته، والصُرَّة والدواء؛ ويعبث في أوراق مهاجر من سحائب

الفوائد من عبرة الهجرة، ويثبت يقينك أن المستقبل لهذا الدين، ويناديك أن لديك هجرة عصرية تولد قلوب جديدة العزام . .

2- كتاب «هذا رمضان.. ألا تشتاق؟!»

هو كتاب عبر بريد الشوق . . إلي الهمم المعطلة والطاقات المحبوسة . . إلي القلوب التي سئمت الغفلة وحنت إلي اليقظة . . إلي الأرواح التي أنفت الغربة ونوت العودة . . أفسحوا لأنفسكم الطريق وأوقفوا نزيف السيئات . . فماذا أنتم لربكم مقدمين؟! وبأنفسكم فاعلين؟!

3- إمساكية «رمضان.. ميدان العمل»

يسرج جوادك . . ليكن لك وسط الصالحين صحبة . . وبين القائمين قدم . . ومع الطائعين قلب . . ومع القرآن روح . . ومع الذكر سبحات . . وفي خدمة الإسلام بصمات . . فتتحرك وتنهض لتكون لبنه في الصرح .

* * *

ثوب قشيب من التأليف . . وطراز جديد من الأسلوب

بديع الذوق . . شهي المذاق . . سلس العبارة . . غزير المعاني

تلتف حوله القلوب . . وتنجذب إليه الأرواح . .

. . فبادروا باقتناء هذه الكتب . .



المكتبة

1- مكتبة القرآن وتفسيره:

* في ظلال القرآن .... سيد قطب
* تفسير القرآن العظيم ..... الإمام بن كثير
* تيسير الكريم الرحمن .. الشيخ السعدي
* فيض القدير . المنادي

2- مكتبة الحديث وشروحه:

اللؤلؤ والمرجان ...... محمد عبد الباقي
رياض الصالحين .... النووي
مختصر صحيح مسلم .... الألباني
فتح الباري .... ابن حجر
صحيح الجامع الصغير .... الألباني
السلسلة الصحيحة .... الألباني
الروضة الناضرة ..... عبد الفتاح القاضي
جامع العلوم والحكم .... ابن رجب الحنبلي
الأحاديث القدسية .... دار التوزيع والنشر
فيض القدير .... المنادي

3- مكتبة الزهد والرقائق:

إغاثة اللهفان .... ابن القيم
الفوائد .... ابن القيم
الوابل الصيب .... ابن القيم
الداء والدواء .... ابن القيم
عدة الصابرين .... ابن القيم
مدارج السالكين .... ابن القيم
المدهش .... ابن الجوزي
التبصرة .... ابن الجوزي
صيد الخاطر .... ابن الجوزي
بستان الواعظين .... ابن الجوزي
المواعظ والمجالس .... ابن الجوزي
إحياء علوم الدين ...... أبو حامد الغزالي
مكاشفة القلوب ...... أبو حامد الغزالي
منهاج العابدين ...... أبو حامد الغزالي
الرعاية لحقوق الله ..... الحارث المحاسبي
تهذيب مدارج السالكين - محمد صالح العربي
لطائف المعارف ...... ابن رجب الحنبلي
الزهد .... أحمد بن حنبل
الزهد والرقائق .... ابن المبارك
كتاب التوابين .... ابن قدامة المقدسي
مختصر منهاج القاصدين . ابن قدامة المقدسي
الرسالة القشيرية ...... الإمام القشيري
رهبان الليل .... عبد الملك الزغبي
تنبيه الغافلين .... السمرقندي
تنبيه المغترين .... الشعراني
الفتح الرباني ..... عبد القادر الجيلاني
حطم صنمك ... مجدي الهلالي.
أسباب المغفرة .... ابن رجب
رسالة العبودية ... ابن تيمية
الذل والانكسار ... ابن رجب
الشكر ... ابن أبي ادنيا
ففروا إلي الله ... أبو ذر القلموني
بين الربانية والمادية .. مصطفي مشهور
صيح وصايا الرسول . سعد يوسف أبو عزيز
العبادة في الاسلام ... القرضاوي
نزهة المجالس ...... الصافوري الشافعي
مواعظ الأنبياء .... مجدي فتحي السيد
فقه السالكين .... جمال ماضي
واحات الإيمان ..... عبد الحميد البلالي
فن الذكر والدعاء .... محمد الغزالي
الكبائر .... الإمام الذهبي
١٠٠ قصة وقصة ... محمد أمين الجندي
التذكرة .... الإمام القرطبي
الرقائق ...... محمد أحمد الراشد
رسالة العبودية .... ابن تيمية
ثلاثون سبب للسعادة .... عائض القرني
مصارع العشاق .... عائض القرني
لا تحزن .... عائض القرني
صحيح وصايا الرسول . سعد يوسف أبو عزيز
من وصايا الرسول .. طه عبد الله العفيفي
علو الهمة ... محمد اسماعيل المقدم
المنتقى من أقوال الدعاة ..... محمود المنير
رسالة المناجاة .... حسن البنا
منهج التابعين في تربية النفوس - عبد الحميد البلالي

4- مكتبة السير والتراجم:

السيرة النبوية (دروس وعبر) .د/ مصطفى السباعي
عظماؤنا في التاريخ .. د/ مصطفى السباعي
الحسن البصري ...... د/ السيد الجميلي
حياة الصحابة .... الكاندهلوي
صفة الصفوة .... ابن الجوزي
مناقب عمر بن الخطاب ...... ابن الجوزي
رجال حول الرسول .... خالد محمد خالد
مع العارفين ..... محمد سعيد رمضان

5- مكتبة اللغة والأدب:

وحي القلم .... مصطفى صادق الرافعي
ديوان .... الإمام الشافعي
العقد الفريد .... ابن عبد ربه
سير أعلام النبلاء ... الإمام الذهبي



دليل الفقير